٢٨٤

حاجی خلیل اغا قوللری

کتاب شفاء قاضی عیاض

سطر ١٩

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان
ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وعلى اكرمه الله دولته
باللطف والحسنى حرره العبد الفقير أحمد
شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
عفى لهما

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقيه القاضي الامام الحافظ ابو الفضل عياض
بن موسى بن عياض اليحصبي رحمة الله عليه الحمد لله المنفرد
باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه
منتهى ولا وراءه مرمى والظاهر لا تخيلا ووهما والباطن
تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه
نعما عمّا وبعث فيهم رسولا من انفسهم عربا وعجما و
ازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما
واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رأفة ورحما زكاه روحا
وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا
عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره ووقره
من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن
اياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى
وعلى آله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار
اليقين ولطف لي ولك بما لطف به بعباده باوليائه

المتقين

المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة
بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته واثار
قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة ووله عقولهم في عظمته حيرة
فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا
فهم بمشاهدة جلاله وجماله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب
عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون
لهجين بصادق قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فانك كررت على السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر
الشريف المصطفى عليه الصلوة والسلام وما يجب له
من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك
القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك
ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل
صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك
امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني
بما كلفتني مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك
يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض
ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي ويضاف اليه او يمتنع
او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة
والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه

فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطى ومجاهل تضل فيها
الاحلام ان لم تهتد بعلم ونظر سديد ومداحض
تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق وتاييد لكني لما رجوته
ولك في هذه السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريفه
قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصايصه التي
لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو
ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايمانا ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه حدثنا ابو الوليد هشام ابن احمد الفقيه رحمه
الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر النمري
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا
سليمان بن الاشعث حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد
اخبرنا علي ابن الحكيم عن عطاء عن ابي هريره رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه
الجمه الله بلجام من نار يوم القيمه فبادرت الى نكت سافرة
مسفرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض
اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن
والبال عما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلينا بها فكادت تشغل
عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل

ولوا

ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد
غبا او لا يذم محله فليس ثم سوى نضرة حضرة النعيم او عذاب
الجحيم ولكان عليه يحوصه واستنقاذ نجته وعمل صالح
يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا
وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا
فيما ينجينا ويقربنا اليه الى الله تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته
ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت
لرمه تفصيله وانتحيت حصره الكلام فيه في اربعة اقسام وتحصيله
ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه
في اربعة اقسام القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا المصطفى
الكريم النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه
في اربعة ابواب الباب في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه
وفيه عشرة فصول في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون
فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم
قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كراماته وفيه
اثنى عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات
والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون فصلا
القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلوة والسلام

ويترتب القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به
ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني
في لزوم محبته ومناصحته وفيه فصول الباب الثالث في تعظيم امره
ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة
عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول
القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه شرعا وما يمتنع
وما يصح من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم
اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له
كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت
البيانية البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا
التاليف وعد وعند التقصي لموعدته والتقصي عن عهدته يشرق
صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملاء انواره
جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه والسلام ويتحرر
الكلام فيه في بابين فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به
القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله
الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه
تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه
عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو
حقه سبا ونقص من تعريض او نقص وفيه عشرة فصول

الباب الثاني في حكم شانيه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته
وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة
فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة
للبابين الذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته
وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصرنا الكلام
فيه في خمسة فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب
ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة
خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس ويشفي صدور قوم
مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى
لا اله سواه استعين القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر النبي
المصطفى قولا وفعلا قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل رضي
الله عنه ووفقه الله وسدده لا خفاء على من مارس شيئا من العلم
او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه
السلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط
بزمام وتنويهه من عظيم عظم قدره بما تكل عنه الالسنة
والاقلام فمنها ما صرح به على جليل نصابه واثنى به عليه
من اخلاقه وادابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان
جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك
واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد لله

اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه
الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة
والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات
الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التى شاهدها
من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم يقين من بعده حتى
انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى
عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضى الشهيد ابو على الحسين بن
محمد الحافظ رحمة قراءة منى عليه قال حدثنا ابو الحسين
المبارك ابن عبد الله الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا
حدثنا ابو يعلى البغدادى قال حدثنا ابو على التبجى حدثنا محمد بن
احمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ حدثنا اسحق بن
منصور حدثنا عبد الرحمن بن رزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة
عن انس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق ليلة
الاسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبرائل
ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض
عرقا الباب الاول فى ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه
اعلم ان فى كتاب الله العزيز اياته كثيرة مفصحة بجميل ذكر
المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا
منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك فى عشرة

فصول

فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجئ المدح والثناء
وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
الايه التسمرقندى وقراء بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور
بالضم قال الفقيه القاضى الامام ابو الفضل وفقه الله تعالى
اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب واهل مكة او جميع الناس
على اختلاف المفسرين من الموجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا
من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته
فلا يتهمون بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن
فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة
او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره رضى الله عنهم معنى قول الله
الا المودة وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الله
الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد با وصاف حميدة واثنى
عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم
وشدة ما يعنتهم ويضربهم فى دنياهم واخراهم وعزته
عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين
من اسمائه رؤف رحيم ومثله فى الايه الاخرى قوله تعالى لقد من الله
على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفى الاية الاخرى
قوله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الايه قوله
تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الايه وروى عن على بن ابو طالب

رضى الله عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال
نسبًا وصهرًا وحسبًا ليس في ابا من لدن ادم سفاح كلنا
نكاح ابن الكلبى كتب للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام
فما وجدت فيهن سفاحًا والاشياء مما كانت كان عليه الجاهلية
وعن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك
فى الساجدين انه قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيًا وقال
جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكى
يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه
مخلوقًا من جنسهم فى الصورة البسه من نعته الرافة والرحمة
واخرجه الى الخلق سفيرًا صادقًا وجعل طاعته طاعته
وموافقته نقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله
تعا وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال ابوبكر بن
طاهر زين الله محمدًا بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع
شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شئ من رحمته
فهو الناجى فى الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل
محبوب الا ترى ان الله تعا يقول وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين فكانت حياته رحمةً ومماته رحمةً كما قال عليه السلام
حياتى خير لكم وموتى خير لكم وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة
قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطًا وسلفًا وقال السمرقندى

رحمة

رحمة للعالمين يعنى الجن والانس وقيل لجميع الخلق
للمؤمنين رحمة بالهداية رحمة للمنافق بالامان من القتل
ورحمة للكافرين بتاخير العذاب قال ابن عباس
رضى الله عنهما هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكى ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل عليه السلام هل
اصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت اخشى العاقبة
فامنت لثناء الله عز وجل بقوله ذي قوة عند ذى العرش
مكين مطاع ثمة وروى عن جعفر محمد ابن الصادق فى قوله
تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اى بك انما وقعت سلامتهم
من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعا نور السموات
والارض الاية قال كعب وبن جبير المراد بنور الثانى هنا
محمد عليه السلام وقوله مثل نوره اى نور محمد عليه السلام
وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادى اهل السموات والارض
ثم قال مثل نوره اذ كان مستودعًا فى الاصلاب كمشكاة صفتها
كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اى كانه كوكب
درى لما فيه من الايمان والحكمة يوقد من شجرة مباركة زيتونة
لا شرقية ولا غربية اى من نور ابرهيم عليه السلام وضرب
المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضئ اى يكاد نبوة

محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت
وقد قيل في هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى
في القران في غير هذا الموضع نوراً وسراجاً منيراً فقال الله
تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال الله تعالى يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله
باذنه وسراجاً منيراً ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك
الى اخر السورة ومعنى قوله شرح وسع والمراد بالصدر
هنا القلب ابن عباس رضى الله عنهما شرح بنور الاسلام وقال
سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاءه حكماً وعلماً وقيل
معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذلك
يعنى قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ثقل
ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى
وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت
ذكرت معى في قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل
في الاذان قال القاضى ابو الفضل وفقه الله هذا تقرير من الله
جل اسمه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه
وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه

للايمان

للايمان والهداية ووسعه لوعى العلم وحمل الحكمة ورفع عنه
ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه
بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهده اباء الرسالة
والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه
وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة
رضى الله عنه رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس
خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان
لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وروى ابو سعيد الخدرى
رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتانى جبرائيل
عليه السلام فقال ان ربى وربك يقول تدرى كيف رفعت
ذكرك فقلت قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت
معى قال ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكرى معك وقال ايضاً
جعلتك ذكراً من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى وقال جعفر بن
محمد بن الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية
واشار بعضهم في ذلك الى مقام الشفاعة ومن ذكره معه
تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال الله تعالى
اطيعوا الله واطيعوا الرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما
بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه
عليه السلام حدثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجياني الحافظ

فيما اجازنيه وقراءته على الثقة عنه وقال حدثنا انبأنا
ابو عمر التمري قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا
ابو بكر بن داسته حدثنا ابو داود السجزي حدثنا ابو الوليد
الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم
ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان
الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم
مشيئته من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي
بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان
خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال
ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه
من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقف على يعصهما
وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال
ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقف على يعصهما
اختلاف المفسرين واصحاب المعاني في قوله تعالى وملائكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة الى الله تعالى وملائكته
ام لا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير

با

بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملائكته يصلون
وقد روي عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك
عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله الايتين وروي انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا
يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا
فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته
رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال
ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما
ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله
عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية
في قوله عز وجل صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن
بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير
قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى الاية انه محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد
وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم

قال نعمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء
بالصدق وصدق به هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم
وهو الذي صدق وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم
الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي
رضى الله عنهما وقيل غير هذا من الاقول وعن مجاهد
رضى الله عنه في قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال
بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين **الفصل الثاني في وصفه تعالى** بالشهادة وما يتعلق بها
من الثنا والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى له في هذه الاية
ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله
شاهدا على امته لنفسه الشريفة بابلاغهم الرسالة وهي
من خصايصه عليه الصلوة والسلام ومبشرا لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته
وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب
رحمه الله حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد
بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد بن سنان حدثنا
فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار انه قال لقيت عبد الله

بن عمرو بن العاصي فقلت اخبرني عن صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف
في التورية ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله
الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر
مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار رضي الله عنهما
وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له
كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره
والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق
شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به
بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة
واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به
بين قلوب مختلفة واهواء مشتتة وامم متفرقة واجعل امته

خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي
احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او طيبة
امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الآيتين وقد قال تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم الآية وقال السمرقندي
ذكرهم الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمومنين
رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا
من حوله ولكن ولو جعله سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله
الضحاك وقال الله تعا وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال
ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله في الآية
الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل
امة بشهيد الآية وقوله وسطا اي عدولا خيارا ومعنى
هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم بان جعلناكم
امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول
بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم

يقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير
فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء صلوات الله عليهم
ويزكيهم النبي عليه السلام وقيل معنى الآية انكم حجة على كل
من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال
الله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم
قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله
عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه هي شفاعة
نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم
وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها
الله عز وجل محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن
علي الترمذي هو صدق امام الصادقين والصديقين
الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه
عنه السلمي **الفصل الثالث** فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة
والمبرة فمن ذلك قوله تعا عفا الله عنك لم اذنت لهم قال
ابو محمد مكي وقيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك
الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره وحكى
السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب
لم اذنت لهم قال ولو بدا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله

لم اذنت لهم يخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبته هذا الكلام
ولكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال لم
اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من
الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب
ومن اكرامه اياه وبره ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب
قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم
اعلمه الله لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في
الاذن لهم قال الفقيه القاضي ابو الفضل يجب على المسلم المجاهد
نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه وهو ان يتادب
بادب القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو
عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية
وليتامل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب
الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها
من الفوائد وكيف بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو
قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض
المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء عليهم السلام بعد الزلات
وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون

بذلك

بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية
العناية ثم انظر كيف بدا بتثبيته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه
عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي
تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك
الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله
عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه
حزن فجاءه جبرائيل عليه السلام فقال ما يحزنك فقال
كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى
الاية ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له
عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه
صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه
قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع
بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم
بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال الله تعالى ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون وحاشاه من الوصم وطوقهم با
المعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن
علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها

انفسهم ظلماً وعلواً ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله
ووعده النصر بقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك
الاية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذباً
وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه
لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر
من خصائصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء
باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابرهيم يا موسى يا داود
يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها النبي
يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

صلى الله عليه قال الله تعالى لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم
من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله
ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه
وبقائك يا محمد وقيل وعيشتك وقيل وحياتك وهذه نهاية
التعظيم وغاية في البر والتشريف قال ابن عباس رضي
الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً اكرم عليه
من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم
بحياة احد غيره وقال ابو الجوزاء ما اقسم الله تعالى

بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم
البرية عنده وقال تعالى يس والقران الحكيم الايات اختلف
المفسرون في معنى يس على اقوال حكى ابو محمد مكي
انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند
ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى
ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد
مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي
الله عنهما يس يا انسان اراد محمد صلى الله عليه وسلم
وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل
معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن
الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله عز
وجل به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد
انك لمن المرسلين ثم قال تعالى والقران الحكيم انك لمن
المرسلين فان قدر انه من اسمائه صلى الله عليه
وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم
ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان
بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته
والشهادة بهدايته صلى الله عليه وسلم اقسم الله باسمه
وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط

مستقيم من ايمانه اى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول
عن الحق وقال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه
بالرسالة فى كتابه الا له صلى الله عليه وسلم وفيه
من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه
وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر
وقال جل جلاله لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
وقيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه
مكى وقيل لا زائدة اقسم به وانت به يا محمد حلال
او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عندهم
لا مكة وقال الواسطى اى نحلف لك بهذا البلد الذى شرفته
بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعنى المدينة والاول اصح
لان السورة مكية وبعده يصححه قوله تعالى حل بهذا البلد ونحوه
قول ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين
قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان الله كونه امانا حيث
كان ثم قال عز وجل ووالد وما ولد من قال اراد ادم
عليه السلام فهو عام ومن قال هو ابراهيم عليه السلام
وما ولد فهى ان شاء الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم
فتضمن السورة القسم به صلى الله عليه وسلم فى موضعين
وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضى الله عنهما

هذه

هذه الحروف اقسم الله بها عنه وعن غيره فيها غير
ذلك قال سهل بن عبد الله التسترى الالف هو الله
تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى
هذا القول السمرقندى ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه
الله انزل جبرائيل على محمد بهذا القران الذى لا ريب فيه
وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب
فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم قال
ابن عطاء فى قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب
حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة
ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقران وقيل هو
اسم الله تعالى وقيل هو اسم جبل محيط بالارض وقيل
غير هذا وقال جعفر بن محمد فى تفسير والنجم اذا هوى
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه
وسلم هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير
الله وقال ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر
محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان **الفصل الخامس
فى قسمه تعالى** جده لتحقق مكانته عنده جل اسمه والضحى
والليل اذا سجى السورة اختلف فى سبب نزول هذه
السورة فقيل كان ترك النبى صلى الله عليه وسلم قيام

الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل
بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة
قال الفقيه القاضي رحمه الله تضمنت هذه السورة من
كرامة الله تعالى صلى الله عليه وسلم وتنويهه به وتعظيمه اياه
ستة وجوه الاول القسم عما اخبره به من حاله بقوله تعالى
والضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته
عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي
ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك
الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن
اسحق اي مالك في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة
الدنيا وقال سهل اي ادخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه الآية جامعة لوجوه
الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين
والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب
في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية في القرآن
ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عده الله تعالى عليه

من

من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته
الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله في قلبه من القناعة
والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه وقد قيل آواه الله
وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى
بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه
المنن وانه من المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته
ويتمه وقيل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه السادس امره تعالى باظهار نعمته وشكر
ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله تعالى واما بنعمة
ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها وهذا خاص له
عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى
من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله تعالى
والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها هو
القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام وقال قلب
محمد صلى الله عليه وسلم قيل في قوله تعالى والسماء والطارق
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا
محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات
من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم

جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه
فيما تلا وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو
شديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء
وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما راى
وانه راى من ايات ربه الكبرى نبه على مثل هذا في اول
سورة الاسرى ولما كان ما كاشفه عليه السلام
من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت
لا يحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول
رمز عنه بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال
تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو
عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد راى من
ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى
وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى قال
القاضي ابو الفضل واشتملت هذه الايات على اعلام
الله تعالى بتزكيته جملته عليه السلام وعصمتها من الافات
في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وقلبه
فزكى قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما راى ولسانه بقوله
وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى

وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله
تعالى وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه
لقول رسول كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله
من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده
مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى
وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم
فجميع الاوصاف هنا بعد على هذا له وقال غيره هو
جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه ولقد راه
يعني محمد صلى الله عليه وسلم قيل راى ربه وقيل راى
جبريل في صورته وما هو على الغيب بضنين اي بمتهم ومن
قراه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء والتذكير
بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال تعالى
ن والقلم الايات اقسم الله بما اقسم به من عظيم قسمه
على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم
وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة
ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى
درجات الاداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم
دائم وثواب غير منقطع لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه
فقال ان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من

هباته وصلاه اليه واكثر قيل القران وقيل الاسلام
وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله تعالى
قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه
من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك
الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي
يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه
سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن
قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم
بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف بعد
مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه
متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة
خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين
الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق
بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم
فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى
على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوانه محمد صلى الله
عليه وعلى اله الفصل السادس فيما ورد من
خطابه عليه السلام موردا الشفقة والاكرام
قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه

اسم من اسمائه عليه السلام وقيل هو اسم الله تعالى
وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل حروف
مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي
وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اي
اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد
على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القران
لتشقى نزلت الاية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتكلفه من السهر والتعب في قيام الليل اخبرنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي
ابو الوليد الباجي اجازه ومن اصله نقلت قال حدثنا
ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموي قال حدثنا ابرهيم
بن خزيم الشاشي قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم
بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس رضي الله
عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام
على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طا
الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى ولا خفاء
بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه
من اسمائه عليه كما قيل وجعلت قسما لحق الفضل بما قبله
ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك

باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا
اى قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله
تعالى ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشاء
ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض
عن المشركين الى قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
الى اخر السورة وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من
قبلك قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى
من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل
بمن قبله ومن هذا التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم
من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله تعالى بما اخبره به
عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه
بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقى
ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم
اى اعرض عنهم فما انت بملوم وقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اى اصبر على اذاهم
فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بذلك فى اى
كثيرة من هذا المعنى الفصل التاسع فيما اخبر الله به فى كتاب
العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبه
على

عليهم قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسى
اختص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره
ابانه به وهو ما ذكره فى هذه الاية قال المفسرون اخذ الله
الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه
ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ
ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
قال على بن ابى طالب رضى الله عنه لم يبعث الله نبيا من ادم
فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم
وان بعث وهو حى ليؤمنن به ولتنصرنه ويأخذ العهد بذلك
على قومه ونحوه عن السدى وقتادة فى اى تضمنت
فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا روى عن عمر
بن الخطاب رضى الله عنه انه قال فى كلام بكى به النبى
صلى الله عليه وسلم فقال بابى انت وامى يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبياء وذكرك
فى اولهم فقال واذ اخذنا ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية

بابی انت وامی یا رسول الله لقد بلغ من فضیلتك
عنده ان اهل النار یودون ان یکونوا طاعوك وهم
بین اطباقها یعذبون یقولون یا لیتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا قال قتادة رضی الله عنه ان النبی صلی الله
علیه وسلم قال کنت اول الانبیاء فی الاخرهم فی البعث
فلذلك وقع ذکره مقدما هنا قبل نوح وغیره قال
السمرقندی فی هذا تفضیل نبینا محمد صلی الله علیه وسلم
لتخصیصه بالذکر قبلهم وهو اخرهم المعنی اخذ الله علیهم المیثاق
اذ اخرجهم من ظهر ادم کالذر وقال تعالی تلك الرسل
فضلنا بعضهم علی بعض الایة فقال اهل التفسیر اراد
بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلی الله علیه وسلم لانه
بعث الی الاحمر والاسود واحلت له الغنایم وظهرت
علی یدیه المعجزات ولیس احد من الانبیاء اعطی فضیلة
او کرامة الا وقد اعطی محمد صلی الله علیه وسلم مثلها
قال بعضهم ومن فضله ان الله خاطب الانبیاء علیهم السلام
باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فی کتابه فقال یا ایها
النبی ویا ایها الرسول وحکی السمرقندی عن الکلبی
فی قوله تعالی وان من شیعته لابرهیم ان الهاء عائدة علی محمد
صلی الله علیه وسلم ای ان من شیعة محمد لابراهیم ای

علی دینه ومنهاجه واختاره الفراء وحکاه عنه مکی
وقیل المراد نوح علیه السلام الفصل الثامن فی اعلام الله
تعالی خلقه بصلاته علیه وولایته له ودفعه العذاب
بسببه قال الله تعالی وما کان الله لیعذبهم وانت فیهم ای
ما کنت بمکة فلما خرج النبی صلی الله علیه وسلم من مکة
وبقی فیها من بقی من المؤمنین نزل وما کان الله معذبهم
وهم یستغفرون وهذا مثل قوله تعالی لو تزیلوا الایة وقوله
ولا رجال مؤمنون الایة فلما هاجر المؤمنون نزل وما لهم
الا یعذبهم الله وهذا من ابین ما ظهر مکانته صلی الله علیه
وسلم ودرءه العذاب عن اهل مکة بسبب کونه فیهم ثم
کون اصحابه بعده بین اظهرهم فلما خلت مکة منهم عذبهم
بتسلیط المؤمنین علیهم وغلبتهم ایاهم وحکم فیهم سیوفهم
واورثهم ارضهم ودیارهم واموالهم وفی الایة ایضا
تاویل حدثنا القاضی الشهید ابو علی رحمه الله بقرائتی
علیه حدثنا ابو الفضل بن خیرون وابو الحسین الصیرفی
قالا حدثنا ابو یعلی ابن زوج الحرة حدثنا ابو علی السنجی
حدثنا محمد بن احمد بن محبوب المروزی حدثنا ابو عیسی
الحافظ حدثنا سفیان بن وکیع حدثنا ابن نمیر عن اسمعیل
بن ابرهیم بن مهاجر عن عباد بن یوسف عن ابی بردة بن ابی

موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزل الله على امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار ونحوه قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابي قيل
من البدع وقيل من الاختلاف والفتن وقال بعضهم الرسول
صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت
سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن
وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية
ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه
ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم
عليه فالصلوة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة
وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه
وسلم حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة
وستذكر حكم الصلوة عليه عليه الصلوة والسلام
وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء اول قوله
عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا اي
في صلاة الله على وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم
القيمة وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص

ان

ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه عليه الصلوة
والسلام قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده والهاء
هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء
تاييده له قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال
الله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو موليه الاية اي وليه وصالح المؤمنين
قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر رضي
الله عنهما وقيل علي رضي الله عنه وقيل المؤمنون
على ظاهره **الفصل التاسع فيما تضمنته سورة من**
كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الآيات
من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى
ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتداء
جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين
بظهوره وعليه على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه
مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد
غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي
جعل الله المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله

غيره منة بعد منة وفضلاً بعد فضل ثم قال ويتم نعمته
عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف
وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه
بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد
عليه واخضاعها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم
المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته
على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في
قلوبهم وبشاراتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم
والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة ولعنهم
وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك
شاهداً ومبشراً ونذيراً الاية فعدد محاسنه وخصايصه
صلى الله عليه وسلم من شهادته على امته لنفسه بتبليغ
الرسالة لهم وقيل شاهداً لهم بالتوحيد ومبشراً لامته
بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذراً عدوه بالعذاب وقيل
محذراً من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من
الله الحسنى وتعزروه اي تجلونه وقيل تنصرونه وقيل
تبالغون في تعظيمه وتوقروه اي تعظموه وقراه بعضهم
وتعززوه بزايين من العز والاكثر لا ظهر ان هذا في حق
محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وقال ابن عطا اجتمع للنبي

صلى

عليك نسخه

صلى عليه وسلم في هذه السورة نعم المختلفة من
الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي
من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص
والهدا وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تنزيه من العيوب
وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي
الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام
نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع
غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى
ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر
واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعاً مشفعاً وسيد
ولد ادم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله
احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون
الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة وقيل
قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه
استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه
وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون
من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب

تبراة نسخه

المجاز وهذا من باب الحقيقة لان القاتل والرامي
بالحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه
وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر
توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم
من لم تملاء عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد
قيل في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة
اللفظ ومناسبته اى ما قتلتموهم وما رميتهم انت
اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى
قلوبهم بالجزع اى ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو
القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته
عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما
ذكرناه قبل من ذلك ما قصه الله تعالى من قصة
الاسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت
عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد
من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله
يعصمك من الناس وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله
وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد

تحيرهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم
عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر لهم
في ذلك من الايات ونزول السكينة وقصة سراقة بن
مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار
وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله تعالى
بما اعطاه والكوثر نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل
الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة
ثم اجاب تعالى عنه صلى الله عليه وسلم عدوه ورد عليه
قوله ان شانئك هو الابتر اى عدوك ومبغضك والابتر
الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذى لا خير فيه تعالى
ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قيل
السبع المثاني السور الطوال الاول والقران العظيم
ام القران وقيل السبع المثاني ام القران والقران
العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القران من امر
ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك
نبا القران العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها
تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه
وسلم وذخرها دون الانبياء عليهم السلام وسمى القران

مثانى لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثانى اكرمناك
بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة
والولاية والتعظيم والسكينة وقال تعالى وانزلنا اليك
الذكر الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم
جميعا قال الفقيه القاضى رحمه الله فهذه من خصايصه
وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم
الى الخلق كافة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر
والاسود وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم
اى ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد
على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راى النفس
وازواجه امهاتهم اى هن فى الحرمة كالامهات حرم نكاحهن
عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج فى الاخرة
وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به الان لمخالفته المصحف
وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل
فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له فى الازل واشار
الواسطى الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التى لم يحتملها

موسى

موسى عليه السلام **الباب الثانى فى تكميل الله تعالى
له المحاسن** خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا ايها المحب لهذا النبى الكريم صلى الله
عليه وسلم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان
خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان ضرورى اقتضته
الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب دينى وهو ما يحمد
فاعله ويقرب الى الله تعالى زلفى ثم هى على فنين ايضا منها
ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما
الضرورى المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب
مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه
واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه
وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من
غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه
وقد تلحق هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها
التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود
الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية
فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين
والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد

والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء
والمروة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن
الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها حسن
الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة
واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها
ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل جبلته شعبة
منها كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق
دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة
ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول
السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها فصل
قال الفقيه القاضي رحمه الله اذا كانت خصال الجلال
والكمال والجمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف
بواحدة منها او اثنين ان اتفقت له في كل عصر واما
من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة
حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الامثال ويتقرر له
بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور
خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل
هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال
ولا ينال بكسب ولا بحيلة الا بتخصيص الكبير المتعال

من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء
والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة
والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة
بالانبياء عليهم السلام والشهادة بين الانبياء والامم
وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشارة والنذارة
والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية
ورحمة للعالمين واعطاء الرضا والسؤال والكوثر وسماع
القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح
الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول
السكينة والتابيد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع
المثاني والقران العظيم وتزكية والدعاء الى الله تعالى
وصلواة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله
ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة
دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع
الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق
القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب
والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى وابراء
الالام والعصمة من الناس ما لا يحويه محتفل ولا يحيط

بعلمه الأمانحه ذلك ومفضله بدلا اله غيره الى ما اعد في
الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس
ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي يقف دونها
القول ويحار دون ادراكها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله
لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس
قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في
تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف
عليها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم
نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي
وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير
مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا جميعها محيطا
بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك
بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع بيان فقلت صفة النبي
صلى الله عليه وسلم اما الصورة وجمالها وتناسب
اعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة
الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة
والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة
وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس
ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم

بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله تعالى عنهم من
انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل
اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع
الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع
الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين
والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل
الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس
بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن
يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم
رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل
حب الغمام واذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن
الناس عنقا ليس بمطهم ولا بمكلثم متماسك البدن ضرب اللحم
قال البراء (ابن عازب) رضي الله عنه ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة
رضي الله عنه ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك
يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه وقال له
رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال
لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد

رضى الله عنه فى بعض ما وصفه به اجمل الناس من بعيد
واحلاه واحسنه من قريب وفى حديث ابن ابى هالة يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال على رضى الله عنه فى اخر
وصفه له عليه الصلوة والسلام من راه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده
مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث فى بسط صفته
مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا فى وصفه
نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية فى القصد الى المطلوب
وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه
هنالك ان شاء الله تعالى فصل نظافة جسمه وطيب
ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد
فكان قد خصه الله فى ذلك بخصائص لم يوجد فى غيره ثم
تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال صلى
الله عليه وسلم بنى الدين على النظافة حدثنا سفيان بن
العاص وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس
الرازى حدثنا ابو احمد الجلودى حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم حدثنا قتيبه حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت
وعن انس رضى الله عنه فا ما شممت عنبرا قط ولا مسكا
ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها
من جونة عطار قال غيره مسها بطيب اولم يمسها يصافح
المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبى
فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع
فيها عرقه فسئالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقالت نجعله فى طيبنا وهو من اطيب الطيب
وذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر رضى الله عنه لم يكن
النبى صلى الله عليه وسلم يمر فى طريق فيتبعه احد الا عرف
انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهوية ان تلك
كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى الحربى
عن جابر رضى الله عنه اردفنى النبى صلى الله عليه وسلم
فالتقمت خاتم النبوة بفمى فكان ينم على مسكا وقد تكسير وقد
حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت
غائطه وبوله وفاحت لذلك رايحة طيبة صلى الله عليه
وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدى فى هذا خبرا
عن عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم انك

تاتى الخلاء فلا ترى منك شيئا من الاذى فقال لعائشه
اوما علمت ان الأرض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى
منه شئ وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من
اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو
قول بعض اصحاب الشافعى حكاه الامام ابو نصر بن
الصباغ فى شامله وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك
ابو بكر بن سابق المالكى فى كتاب البديع فى فروع المالكية
وتخرج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية
وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شى
يكره ولا غير طيب ومنه حديث على رضى الله عنه انه
قال غسلت النبى صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر يكون
من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال
وسطعت منه ريح طيبة لم يجد مثلها قط ومثله قال
ابو بكر رضى الله عنه حين قبل النبى صلى الله عليه وسلم
بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد
ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله
لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم
حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس
وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد روى نحو من هذا

عنه

عنه فى امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكى وجع بطنك
ابدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عودة وحديث
هذه المرءة التى شربت بوله صحيح الزم الدارقطنى مسلما
والبخارى اخراجه فى الصحيح واسم هذه المرءة بركة
واختلف فى نسبها وقيل هى ام ايمن وكانت تخدم النبى
صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه
من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال
بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا
اعلم وروى حديثها ابن جريج وغيره وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى بعض الروايات قد ولد مختونا
مقطوع السرة وروى عن امه امنة انها قالت ولدته
نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضى الله عنها ما رايت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيرى فانه لا يرى
احد عورتى الا طمست عيناه وفى حديث عكرمة عن ابن
عباس رضى الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم نام حتى
سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه
صلى الله عليه وسلم كان محفوظا فصل واما وفور عقله
عليه السلام وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه

واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان
اعقل الناس واذكاهم ومن تأمل تدبيره امر بواطن
الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب
شمائله وبديع سيره فضلاً عما عفاضه من العلم وقرره
من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا
مطالعة للكتب منه لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لاول
بديهه وهذا مما لا يحتاج الى تقريره التحقيقه وقد قال
وهب بن منبه قراءت فى احد وسبعين كتاباً فوجدت
فى جميعها ان النبى صلى الله عليه وسلم ارجح الناس
عقلاً وافضلهم رأيا وفى روايت اخرى فوجدت فى جميعها
ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها
من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل
من بين رمال الدنيا وقال مجاهد رضى الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام فى الصلوة يرى
من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك
فى الساجدين وفى الموطاء عنه عليه السلام انى لاراكم
من وراء ظهرى ونحوه عن انس فى الصحيحين وعن عائشة
رضى الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله اياها فى حجته
وفى بعض الروايات انى لانظر من ورائى كما انظر الى من بين

يدى

يدى وفى اخرى انى لابصر من قفائى كما ابصر من بين
يدى وحكى بقى بن مخلد عن عائشة رضى الله عنها قالت
كان النبى صلى الله عليه وسلم يرى فى الظلمة كما يرى
فى الضوء والاخبار كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى الله عليه
وسلم الملائكة والشياطين ورفع النجاشى له حتى
صلى الله عليه وسلم وبيت المقدس حين وصفه لقريش
والكعبة حين بنى مسجده وقد حكى عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان يرى فى الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على
رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب
بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة
فى ذلك وهى من خواص الانبياء وخصالهم عليهم السلام
كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه حدثنا
ابو الحسن المقرئى الفرغانى حدثنا ام القاسم بنت
ابى بكر عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن على بن محمد
الحسينى حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن
سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام
حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابى
هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا

في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا
ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا
الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من آيات ربه الكبرى
وقد جاءت الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم صرع ركانة
اشد اهل وقته وكان عليه السلام دعاه الى وصارع
ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات
كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له
انا لنجهد انفسنا وهو مكترث وفي صفته صلى الله عليه
وسلم ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة
اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم
من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة
طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة
قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص
ببدائع الحكم وعلم السنة العرب فكان صلى الله عليه وسلم
يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها
في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسئلونه في غير موطن

عن شرح كلامه وتفسير قوله ومن تأمل حديثه وسيره
علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار
واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني
وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث
ابن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال
حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم
فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون
عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة
ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح
وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها
ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك لهم
في المال والولد من اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى
الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان
مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك
لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة
وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش
وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا
يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا

الزِّبا قِ من اقرّ فله الوفاء بالعهد والذمّة ومن ابى
فعليه الرّبوة ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال
العباهلة والارواع المشابيب وفيه فى التيعة شاة
لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثّجة وفى السيوب الخمس
ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما
ومن زنى مم ثيب فضرّجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين
ولا غمّة فى فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفّل
على الاقيال اين هذا من كتابه لانس فى الصدقة المشهور
لما كان كلام هؤلاء على هذا الحدّ وبلاغتهم هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم لتبيّن للنّاس
ما نزّل اليهم وليحدّث النّاس بما يعلمون وكقوله صلى الله
عليه وسلم فى حديث عطيّة السعدى فانّ اليد العليا
هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة قال فكلمنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله فى حديث العامرى
حين سأله فقال له النّبىّ صلى الله عليه وسلم سل
عنك اى سل عمّا شئت وهى لغة بنى عامر واما كلامه هو
المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة
فقد الف النّاس فيها الدواوين وجمعت فى الفاظها و
معانيها الكتب وجمعت ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا

اى فى بيان غرائبها

جمع فى النثر اى فى غير ... بنادى الفصاحة

او عاشئت كما فى نسخة ويجوز سل عما بدا لك وشانك على القارى

يبارى بلاغة لقوله المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى
بذمّتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله النّاس
كاسنان المشط والمرء مع من احبّ ولا خير فى صحبة من
لا يرى لك مثل ما ترى له والنّاس معادن وما هلك
امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم
يتكلم ورحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم او سكت فسلم وقوله
اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرّتين وان احبّكم الىّ
واقربكم منّى مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقًا الموطّؤن
اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعلّه كان يتكلم بما لا
يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله
وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
المال ومنع وهات وعقوق الامّهات ووأد البنات
وقوله اتّق الله حيث كنت واتبع السيّئة الحسنة تمحها
وخالق النّاس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله
احبب حبيبك هونًا ما عسى ان يكون بغيضك يومًا ما
وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله فى بعض دعائه اللّهم
انّى اسئلك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها
امرى وتلمّ بها شعثى وتصلح بها غائبى وترفع بها شاهدى
وتزكّى بها عملى وتلهمنى بها رشدى وترد بها الفتى

اى ولا يعارضه ولا يباريه

اى كقوله فيما رواه الشيخان

اى وقوله فيما رواه الترمذى ان احبكم

اى الضارة مثل الحسنة

زاد حبيبك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما

وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسئلك الفوز في القضاء
ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى
ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه
وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك
مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره
وقد جمعت من كلماته التى لم يسبق اليها ولا قدر احد يفرغ في
قالبه عليها كقوله الان حمى الوطيس ومات حتف انفه ولا
يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها
مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في ادانى
حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال
وما يمنعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد
فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية
وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها والتأييد
الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري
وقالت ام معبد رضي الله عنها في وصفها له حلو المنطق فصل
لا نزر ولا هذر وكان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت
النغمة صلى الله عليه وسلم فصل واما شرف نسبه وكرم
بلده ومن شانه فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان

مشكل

مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش
وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن
اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا
قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمة الله قال
حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف حدثنا ابو ذر
عبد بن احمد حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم
قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا
قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو
عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم
قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس
رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني
من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم
نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم
اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى
من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث

عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري انه صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بني
آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب
فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم
ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار
الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن بغض العرب فببغضي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم كانت نورا بين يدي الله تعالى ان يخلق ادم بالفي
عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم
القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاهبطني الله الى الأرض في صلب آدم وجعلني
في صلب نوح وقذف بي في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل
الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة
حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد
بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدح رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصل واما ما تدعوه ضرورة الحيوة
اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته
وضرب الفضل في كثرته وضرب يختلف الاحوال فيه فاما
ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة

كا

كالغداء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح
بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل
على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب
لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة
النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك
النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة
الزهد كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف
وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع
العمر في غير نفع وقساوة القلب في غفلته وموته والشاهد
على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا
من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب
واخبارها وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج
الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار
العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين
الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به
وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا
ابو علي الصدفي الحافظ بقرائتي عليه حدثنا ابو الفضل
الاصفهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان بن احمد
حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح معاوية

بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام ابن معدى
كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملاء ابن
ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن
صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث
لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال
سفيان الثورى بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال
بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا وقد روى
عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان
على ضفف اى كثرة الايدى عن عائشة رضى الله عنها
لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه
كان فى اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما
اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث
بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله
ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان
سنته اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون
عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله
هو لها صدقة ولنا هدية وفى حكمة لقمان يا بنى اذا امتلأت
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن
العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع وفى

صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل
متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد فى الجلوس له
كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس
على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل ويستكثر
منه والنبى صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل
جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد
وليس معنى الحديث فى الاتكاء الميل على شق عند المحققين
وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك
الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وكان نومه عليه
السلام على جانب الايمن استظهارا على قلة النوم لانه
على الجانب الايسر اهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من
الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعى
ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن
تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق
فصل والضرب الثانى ما يتفق التمدح بكثرته والفخر
بوفوره كالنكاح والجاه النكاح متفق فيه شرعا وعادة
فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته
عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما فى الشرع

فسنة ماثورة وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما افضل
هذه الامة اكثرها نساءً مشيرًا اليه صلى الله عليه وسلم
وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا فانى مباه بكم الامم ونهى
عن التبتل مع فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما
صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه
اغض للبصر واحسن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح فى
الزهد قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه قد حببن الى
سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان
زهاد الصحابة رضى الله عنهم كثيرى الزوجات والسرارى
كثيرى النكاح وحكى فى ذلك عن على ابن ابى طالب والحسن وابن
عمر رضى الله عنهم وغيرهم غير شئ وقد كره غير واحد ان
يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من
الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام قد اثنى الله
تعالى عليه انه كان حصورًا فكيف يثنى الله عليه بالعجز
عما يعد فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان
كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه السلام
بانه كان حصورًا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له
بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه
نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه

انه كان معصومًا من الذنوب اى لا يأتيها كانه حصر عنها
وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى
النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح
نقص وانما الفضل فى كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة
كعيسى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها سا وبكفاية
من الله تعالى كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شا
غاغله فى كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هى فى حق
من قدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه
درجة عليها وهى درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذى لم تشغله
كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه
بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست
من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره
فقال عليه السلام حبب الى من دنياكم فدل على حبه لما
ذكر من النساء والطيب اللذين هما من امور دنيا غيره
واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للاخرته المفوائد التى ذكرها
فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب ولانه ايضا مما يحض
على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين
الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقى المختص
بذاته فى مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك

ميز بين الحبتين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني
في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد
فضيلة بالقيام بهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن
اقدر على القوة في هذا واعطى الكثير منه ولهذا ابيح له من
عدول الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس رضي
الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة
من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس رضي الله
عنه وكنا نتحدث انه اعطى قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروى
نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطى عليه السلام
قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت
سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه
التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا
اطهر واطيب وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن
الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال
ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر سليمان ماء مائة
رجل وكان له ثلاث مائة امرأة وثلاث مائة سرية حكى
النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلاث مائة سرية وقد
كان لداود عليه السلام تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج
اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى

ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس رضي الله
عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة
وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه محمود عند
العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمته في القلوب
وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها
في الدنيا والاخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس
لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدحه ضده وورد في
الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة
والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها
وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه
خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره
في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته
كما روى عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال
يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود رضي الله
عنه ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له صلى الله عليه
وسلم هون عليك فاني لست بملك فاما عظيم قدره بالنبوة
وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء
والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة

سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا
القسم باسره **فصل واما الضرب الثالث** فهو ما يختلف
الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والا فليس فضيلة
في نفسه فمتى المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في
مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه
مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب
كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه
البر والانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى
والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل حال ومتى كان
صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه
عاكثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على
جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذلة النذالة
فاذا التمدح بالمال وفضيلة عند مفضله ليست لنفسه وانما
هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا
لم يضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى
ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل
الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها
لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه
ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال

ان لم يبق في يده من المال شيء فانظر في سيرة نبينا صلى
الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن
الأرض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي
قبله وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة
العرب وما دانا ذلك من الشام والعراق وجيئت اليه
من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه
وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه
ولا امسك منه درهما بل صرفه في مصارفه واغنى به غيره
وقوى به المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم ما يسرني
ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده
لديني واتته دنانير مرة وقسمها وبقي منها شيء فدفعها لبعض نسائه
فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استراحت
ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته
وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه
فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن
والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة
بالذهب ويرفع لمن لم ا ان المباهاة في الملابس والتزين بها
ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء
والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه

فى ليس مثله غير مسقط لمروءة حسنه مما لا يؤدى الى الشهرة
فى الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغايت الفخر فيه فى العادة
عند الناس انما تعود الى الفخر بكثرة الموجود و وفور الحال
وكذلك التباهى بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الالة وخدمه
ومركوباته ومن ملك الارض وجبى اليه ما فيها فترك ذلك
زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه
الخصلة ان كانت فضيلة زائدة عليها فى الفخر ومعرق فى المدح
باضرابه عنها و زهده فى فائتها و بذلها فى مظانها **فصل واما**
الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة
التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف
بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها
وامر بها و وعد السعادة الدائمة للمتخلق بها و وصف بعضها بانه
من اجزاء النبوة وهى المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال فى قوى
النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف
اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على
الانتهاء فى كمالها والاعتدال على غايتها حتى اثنى الله عليه بذلك
فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان
خلقه القران يرضا برضاه ويسخط بسخطه **وقال** عليه
الصلوة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق **قال** انس

رضى الله عنه صلى الله عليه واحسن الناس خلقا **وعن على**
بن ابى طالب رضى الله عنه مثله وكان فيما ذكر المحققون
مجبولا عليها من اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب
ولا رياضة الا بجود الهى وخصوصية ربانية وهكذا سائر
الانبياء عليهم السلام و من طالع سيرهم منذ صباهم
الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى
ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم بل
غرزت فيهم هذه الاخلاق فى الجبلة واودعوا العلم والحكمة
والفطرة **قال** الله تعالى واتيناه الحكم صبيا **قال** المفسرون
اعطى يحيى العلم بكتاب الله فى حال صباه وقال معمر كان ابن
سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال ما للعب
خلقت وقيل فى قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى
بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله و روحه
وقيل صدقه وهو فى بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم
انى اجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك تحية له وقد نص الله
على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزنى
على قراءة من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادى
عيسى عليه السلام **ونص** على كلامه فى مهده فقال انى
عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا **وقال** ففهمناها سليمان

وكلا اتيناه حكما وعلما وقد ذكر في حكم سليمان عليه السلام
وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي
ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين
اوتي الملك اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون
واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى
ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله
مجاهد وغيره وقال ابن اصطفاه الله قبل ابداء خلقه وقال
بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله تعالى اليه ملكا يأمره عن
الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت
ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه
السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة
وان ابتلاء اسحق م بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان
استدلال ابرهيم بالكواكب والقمر والشمس كان وهو
ابن خمسة عشر شهرا واوحى الله الى يوسف وهو صبي عندما
همّ اخوته بالقائه في الجب يقول الله تعالى لتنبئنهم بامرهم
هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير
ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد
باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في
حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت الى الاوثان

وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله
الا مرتين تعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف
نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى
يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل
هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة
قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما
وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد
عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد
من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق
اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب
يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل
منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر
لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة
او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة
وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن رضي
الله عنهما قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد بن
ابي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقد قال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله

حيث يشاء وهذه الاخلاق المحموده والخصال الجميل كثيرة ولكنا
نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم
بها ان شاء الله تعالى **فصل اما اصل فروعها** وعنصر ينابيعها
ونقطة دائرتها فالعقل الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع
عن هذا ثقوب الرأى وجودة الفطنة والاصابة وصدق
الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن
السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل **وقد**
اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم
الغاية التى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما
تفرع منه متحقق عند من تتبع مجارى احواله واطراد سيره
وطالع جوامع كلامه وحسن شمائل وبدايع سيرة وحكم حديثه
وعلمه بما فى التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير
الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير
الشرايع وتأصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم
التى اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة
كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك
مما سنبينه فى معجزاته ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة
ولا مطالعة كتب من تقدم والجلوس الى علمائهم بل نبى امى
لم يعرف بشئ من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه

واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان
القاطع على نبوته نظرا فلا نطاول بسرد الاقاصيص
واحاد القضايا ومجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ
جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر
ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب
قدرته وعظيم ملكوته **قال** الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما حارت العقول فى تقدير فضله عليه وخرست
الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهى اليه **فصل واما الحلم
والاحتمال** والعفو مع المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه
الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات
والاحتمال حبس النفس عند الالام والمؤذيات ومثلها الصبر
ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المواخذة وهذا كله مما
ادب الله تعالى به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو
وأمر بالعرف الاية **روى** ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الاية سأل جبرئيل عن تأويلها فقال له حتى اسأل
العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل
من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك **وقال** واصبر
على ما اصابك الاية وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل قال له وليعفوا وليصفحوا الاية قال ولمن صبر وغفر

ان ذلك لمن عزم الامور ولا اخفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله
وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله
عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف
الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره
قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره
قالوا حدثنا ابو عيسى حدثنا عبد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا
مالك عن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها
قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين
قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما ابعد الناس
منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان
تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم وروى ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على
اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم
لا يعلمون وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض
كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه
فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها
لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك
وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم

اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر اذ لم يقتصر صلى الله
عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم اشفق عليهم
ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر واهد ثم سبب
الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال
انهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه
وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراده من اصحابه قتله ولما تصدى
له غورث بن حارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم
منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا
في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال
كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند
خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي
سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ
لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحى اليه بشرح امره

ولا عتب عليه فضلا عن معاقبة وكذلك لم يواخذ عبد الله بن
ابى واشباههم من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم فى جهته قولاً
وفعلاً بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه وعن انس رضى الله عنه قال كنت مع النبى
صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابى
بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه
ثم قال يا محمد احمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك
فانك لا تحمل لى من مالك ولا من ولا من مال ابيك فسكت النبى
صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال
ويقاد منك يا اعرابى ما فعلت بى قال لا قال لم قال لانك
لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم امر ان
يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر وقالت عن عائشة رضى الله
عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة
ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا
ان يجاهد فى سبيل الله ولا ما ضرب خادما ولا امراة وجئ
اليه برجل فقيل ان هذا اراد ان يقتلك فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط على وجاء
زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه صلى الله وسلم
ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بنى

عبد

عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضى الله وشدد له فى القول
والنبى صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرنى
بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضى ثم قال لقد بقى من اجله
ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه
فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقى من
علامات النبوة شئ الا وقد عرفتها فى محمد الا اثنين لم اخبرهما
يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فاختبره بهذا
فوجده كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه
عند المقدرة اكثر من ان تاتى عليه وحسبك ما ذكرناه مما فى
الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره
على مقاسات قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة
معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون فى
استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح
وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ
كريم فقال اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس رضى الله
عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم
عنهم الاية وقال لابى سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب
اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه
فى القول وقال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله
الا الله وانى رسول الله فقال بابى انت وامى ما احلمك
واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم فصل
واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد
فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس
فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة
والسماحة التجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس
وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب
اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يوازى فى هذه الاخلاق الكريمة
ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضى ابو على
الصدفى رحمه الله حدثنا القاضى ابو الوليد الباجى حدثنا
ابو ذر الهروى حدثنا ابو الهيثم الكشميهنى وابو محمد السرخسى
وابو اسحق البلخى قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربرى حدثنا
البخارى حدثنا محمد بن كثير قال اخبرنا سفيان عن ابن المنكدر

قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبى صلى الله
عليه وسلم شيئا اى عن شئ فقال لا وعن انس وسهل
بن سعد رضى الله عنهما مثله قال ابن عباس رضى الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير و
اجود فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبرئيل عليه السلام
اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضى الله عنه ان رجلا
سئاله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا
فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة
من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت
حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة
ابن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن
سبايا ها وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب
ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على
حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه
رجل فساله فقال ما عندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنى شئ
قضيناه فقال له عمر رضى الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر
عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من
الانصار يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى
وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذى وذكر عن معوذ بن

عفراء قال اتيني النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب
يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا
وذهبا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا
لغد والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير وعن ابي هريرة
رضي الله عنه اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه
فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل فصل

واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد
فعلها دون خوف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما
بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة و
الابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح
وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه عليه
صلوات الله وسلامه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي قال حدثنا
القاضي سراج حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر
حدثنا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء وسأله رجل افررتم يوم حنين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ

بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد
غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه
وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم
عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا
اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى
للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر رضي الله
عنهما ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى ولا افضل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا
اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد
رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان
الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه
منه وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة
ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس

لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعو وقال
عمران بن حصين رضي الله عنه ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم احد
وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه
وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم من ذرة
اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك
ان شاء الله فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من
الحارث ابن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطاير وعنه تطاير الشعراء
عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم
فطعنه في عنقه طعنة بل ادأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر
ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون
لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا
اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة فصل
واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند
فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء
التغافل عما يكره الانسان بطبيعته فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله

سبحانه

سبحانه ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية حدثنا ابو محمد
بن عتاب رحمه الله بقراتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد
حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان حدثنا عبد
الله اخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنهم كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا
عرفناه في وجهه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء
وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان
يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى
عنه ولا يسمي فاعله وروى انس رضي الله عنه انه دخل عليه
رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره
فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت
عائشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن
التوراة من رواية عن عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو

بن القاضي وروى عنه الله كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه
احد وانه كان يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة
رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط **فصل** واما حسن عشرته وادابه وبسط خلقه صلى الله عليه
وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي
رضي الله عنه في صفته عليه السلام كان اوسع الناس صدرا
واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن
علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا
ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا
ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا
الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني
محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد رضي الله
عنه قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في
اخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف
فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى
بمقدمها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم

كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان
يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي
كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من
جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله
حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه
ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس
بفظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما
لا يشتهي ولا يؤيس منه فقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع بالتي
هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت
كراعا ويكافئ عليها قال انس رضي الله عنه خدمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لي
لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي
الله عنه ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا من اهل بيته الا قال لبيك وقال
جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم قط منذ
اسلمت ولا راني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة

والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال
انس رضي الله عنه ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ
احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه بين
يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة
ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل
عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه
في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم
ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى
بانتهاء او قيام وروى انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي
الا خفف صلوته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلوته
وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن
او يعظ او يخطب وقال عبد الله بن الحارث رضي الله عنه ما رايت
احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي
الله عنه كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها
وربما كان في الغداة الباردة يريدون به التبرك **فصل** واما الشفقة
والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه لقد جاءكم
رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف

رحيم وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم
من فضله عليه السلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه
فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك
حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا
امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا
ابو احمد الجلودي حدثنا ابرهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا
ابو الطاهر اخبرنا ابن وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال
فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة
من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب
ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق
الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروى ان اعرابيا
جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي
لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم
قام ودخل منزله فارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت
اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي من ذلك
شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في
صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله

عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي
كذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه
وسلم مثلي مثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس
فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فانا ارفق بها
منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى
جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروى عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني
احب ان اخرج عليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه
السلام تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض
عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم
بالسواك مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال
وكراهته دخول الكعبة لئلا يتعب امته ورغبته لربه ان يجعل سبه
ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته ومن
شفقته صلى الله عليه وسلم انه دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل
سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكوة ورحمة وصلوة وطهورا
وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبرئيل
عليه السلام فقال له ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك
وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناديه ملك

الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق
عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان
يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به
شيئا وروى ابن المنكدر ان جبرئيل عليه السلام قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله قد امر السماء والارض والجبال
ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت
عائشة رضي الله عنها لا خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة
علينا وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة
فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك
بالرفق فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد
وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراتي عليه
قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد
بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا
محمد بن سنان حدثنا ابرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن
عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت
النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له فوعدته ان
اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه

فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن
انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال
اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت تحب خديجة وعن عائشة رضي
الله عنها قالت غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها
وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها
فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما
خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان
ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من
هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل بني فلان ليسوا لي
باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى الله عليه وسلم
بامامة ابنة ابنة زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا
قام حملها وعن ابي قتادة رضي الله عنه قال وقد وفد النجاشي فقام
النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال اصحابه نكفيك فقال انهم
كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافئهم ولما جيء باخته من
الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط رداءه وقال لها
ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك
فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه
وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه
فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمر ابن

السائب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه
فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر
فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي
لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها
فقيل له لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى
الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم
وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب
الخلق فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه
ورفعة رتبته فكان صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا
واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار
ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد
اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيامة واول من
تنشق الارض عنه واول شافع حدثنا الفقيه ابو الوليد بن العواد
رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسا قال
حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة
حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير
عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب

عن ابى امامة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم
بعضها بعضا وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل كما يأكل
العبد واجلس كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار
ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد
ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفى حديث
عمر رضى الله عنه صلى الله عليه وسلم لا تطرونى كما اطرت النصارى
ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس رضى الله عنه
ان امرأة كان فى عقلها شئ جاءته فقالت ان لى اليك حاجة قال
اجلسى يا ام فلان فى اى طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضى
حاجتك قال فجلست فجلس النبى صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت
من حاجتها قال انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بنى قريظة على حمار
مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير
والاهالة السنخة فيجيب قال وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل
رث وعليه قطيفة ما تساوى اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء
فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى فى حجه ذلك مائة
بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله
رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله

عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس بن متى ولا تفضلوا بين
الانبياء ولا تخيرونى على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم
ولو لبثت ما لبث يوسف فى السجن لاجبت الداعى وقال للذى
قال له يا خير البرية قال ذاك ابراهيم وسيأتى الكلام على هذه
الاحاديث بعد ان شاء الله تعالى وعن عائشة رضى الله عنها
والحسن وابى سعيد وغيرهم فى صفته وبعضهم يزيد على بعض
وكان فى بيته فى مهنة اهله يفلى ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه
ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف
ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن
انس رضى الله عنه ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضى
حاجتها ودخل عليه رجل فاصابه من هيبته رعدة فقال له هون
عليك فانى لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن
ابى هريرة رضى الله عنه دخلت السوق مع النبى صلى الله عليه
وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن زن وارجح وذكر القصة
قال فوثب الى يد النبى صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال
هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ
السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشئ احق بشيئه ان
يحمله فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق

لهجة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس
واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه
وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين
بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين
اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش
وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا با
لنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد
هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم قال كان يتحاكم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله انى لامين فى السماء امين فى الارض وعن
ابو على الصدفى الحافظ بقراءتى عليه حدثنا ابو الفضل ابن خيرون حدثنا
ابو يعلى ابن زوج الحرة حدثنا ابو على السنجى حدثنا محمد بن محبوب المروزى
حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا معاوية بن هشام
عن سفيان عن ابى اسحق عن ناجية بن كعب حدثنا على رضى الله عنه
ان ابا جهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب
بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية غيره وروى
لا نكذبك وما انت بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقى ابا جهل يوم
بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا تخبرنى عن محمد
صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا صادق وما كذب

محمد قط وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش
قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم
امانة حتى اذا رايتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم
ساحر لا والله ما هو بساحر قط وفى الحديث عنه ما لمست يده يد
امرأة قط لا يملك رقها وفى حديث على رضى الله عنه فى وصفه
صلى الله عليه وسلم اصدق الناس لهجة وقال فى الصحيح ويحك
فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت قالت عائشة رضى الله
عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرين الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال
ابو العباس المبرد قسم   اياما فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم
الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج
وقال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه
وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم
جزأ جزأه بينه وبين الناس يستعين بالخاصة على العامة ويقولوا
ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع
ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقذف احد ولا يصدق

احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير
مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت
بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت
الى غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت
اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست
انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك
بسوء **فصل واما وقاره** صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته
وحسن هديه **فحدثنا** ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه
قال حدثنا ابو العباس الدلائي اخبرنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو
عبد الله الوارق حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عبد الرحمن
بن سلام قال حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد **عن** عمر
بن عبد العزيز بن وهيب قال سمعت خارجة بن زيد يقول كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه
وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه
صلى الله عليه وسلم محتبيا **وعن** جابر بن سمرة رضي الله عنه انه تربع
وربما جلس القرفصاء وهو حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير

حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا
لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له
واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه
الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما
على رؤسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط
من صبب **وفي** الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه
غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان **وقال** عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم **وعن**
جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان في كلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم ترتيل وترسيل **قال** ابن ابي هالة رضي الله عنه كان سكوته
على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر **قالت** عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة
ويستعملها كثيرا ويحض عليها ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب
وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه
عن النفخ في الطعام والشرب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك
وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة **فصل واما
زهده في الدنيا** فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي
وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه

بحذافيرها وترادف عليه فتوجها الى ان توفي صلى الله عليه وسلم
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعوا ويقول
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن القاضي والحسين
بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله النجمي قالوا حدثنا احمد بن عمر
قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا
ابن سفيان حدثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي
شيبة حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود عن عائشة
رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام
تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين
متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر بباله وفي رواية اخرى
ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله عز وجل
وقالت عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث رضي الله
عنه ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة وقالت عائشة
رضي الله عنها ولقد مات وفي بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير
في رف لي وقال لي اني عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب
اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك
واما اليوم الذي اشبع فاحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان جبرئيل
عليه السلام نزل صلى الله عليه وسلم فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك

اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت
فاطرق ساعة ثم قال يا جبرئيل ان الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبرئيل ثبتك الله يا محمد بالقول
الثابت وعن عائشة رضي الله عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا
ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو
واهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة رضي الله عنها وابي امامة
وابن عباس رضي الله عنه نحوه قال ابن عباس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون
عشاء وعن انس رضي الله عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط
وعن عائشة رضي الله عنها انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما
وحشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها كان فراش النبي صلى الله
عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع
فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا له فقال ردوه بحاله فان وطاءته
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط
حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف
النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت
الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته

من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز
الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به
وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت
من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي
العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا
على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصرني غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق
باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله
عليه وسلم **فصل** وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر
علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال
حدثنا ابو القاسم الطرابلسي حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد
المروزي حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن
بكر عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة
رضي الله عنه كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا ابي عيسى الترمذي رفعه
الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق
لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد
لله تعالى والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم
بالنساء على الفروش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت

اني

انى شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول
ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه
فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال
افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وعن ابي هريرة رضي الله
عنها وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ديمة وايكم يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر
حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنه وام سلمة وانس
رضي الله عنهم وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته
مصليا ولا نائما الا رايته نائما قال عوف بن مالك رضي الله عنه كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت
معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسأل
ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول
سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك
ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة فعل مثل ذلك وعن حذيفة
رضي الله عنه مثله قال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين
نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن
عائشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
باية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل وقال ابن ابي
هالة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه السلام اني
لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي
رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنة
المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مراكبي وذكر الله انسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي
والصبر ردائي والرضاء غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي
واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة
عيني في الصلوة وفي حديث اخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل
امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات
جميع الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم من كمال الخلق
وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه
الصفة لانها من صفات الكمال والكمال والتمام البشرية والفضل
الجميع لهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن
فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال
عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة
البدر ثم قال اخر هذا الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم

ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي
هريرة رضي الله عنه رايت موسى فاذا رجل ضرب رجل اقنى كانه
من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا رجل ربعة كثير خيلان الوجه
احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث اخر مبطن مثل السيف قال
وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث اخر في صفة موسى
عليه السلام كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي
هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا من بعد
لوط الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة اي كثرة ومنعة وحكى
الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس
رضي الله عنه ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان
نبيكم احسن الناس وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك
عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب
قومها وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا
وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال ان الله اصطفى ادم
ونوحا وال ابراهيم وال عمران الاية وقال في نوح انه كان عبدا
شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين
وقال تعالى اني عبد الله اتاني الكتاب الى قوله ما دمت حيا وقال
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية قال النبي
صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده

وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب

شئ استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية قال
في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال تعالى ان خير
من استأجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى
قوله فبهديهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى
والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال تعا
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال
ستجدني ان شاء الله من الصالحين برين وقال في اسمعيل انه كان
صادق الوعد الايتين وقال موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم
العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب
اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود انه اواب ثم قال
وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني
على خزائن الأرض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا
وقال تعا عن شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال
ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم يسارعون في الخيرات الأية قال
سفيان هو الحزن الدائم في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن
اخلاقهم الدالة على كمالهم وجه من ذلك في الاحاديث كثير كقوله عليه السلام
انما الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم

نجيب نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك
الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروى ان سليمان عليه السلام
كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا
لله وكان يطعم الناس لذيذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير وحواليه
يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو
على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل
ليوسف عليه السلام ما لك تجوع وانت على خزائن الأرض قال اخاف
ان اشبع فانسى الجايع وروى ابو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم خفف على داود القران فكان يأمر بدوابه فتسرج ولا
يأكل من عمل يده وقال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات
وقدر في السرد وكان سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت
المال وقال عليه السلام احب الصلوة الى الله صلوة داود واحب الصيام
الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير
بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا
شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل
بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذ الدموع في خده اخدودا وقيل
كان يخرج متنكرا سيرته فيسمع الثناء فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه
السلام لو اتخذت لك حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار وكان

يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب
الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد
ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام
لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم
من العطاء اليكم برضى وعلماً وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب
بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق بسوء وقال
مجاهد رضي الله عنه كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله
عز وجل حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط
الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش
ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعاً
لله بما اكرمه الله به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم
في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمائل معروفة مشهورة
فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجد في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين
مما يخالف هذا فصل قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة
والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله
عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه
صلى الله عليه وسلم ممتد ينقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصايصه
زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور
من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض ورأينا ان نختم هذه

الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه
كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف
غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله
بقرأتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الامام ابو القاسم
عبد الله بن طاهر التميمي قرأة عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن
عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد
بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوحشي
قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال اخبرنا
ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن
سورة الحافظ قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن
عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد
ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن
ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه رضي الله
عنهما قال سألت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه
الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداد الكرجي
الباقلاني قال واجازني الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن ابن
خيرون قالوا اخبرنا ابو علي الحسن بن محمد بن شاذان بن مهران
الفارسي قراءة عليه فاقر به قال اخبرنا ابو محمد بن الحسن بن محمد
بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين

بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا اسمعيل
بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى
بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال
قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي
هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا
ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من
المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت
عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون
واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق
يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمل كث
اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق
المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا
متماسكا سواء البطن والصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس
انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر متصل يجري
كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين
واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين
سائل الاطراف او قال شائل الاطراف سبط العصب خمصان

الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال تقلعا ويخطو
تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب
واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول
من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من
لقيه بالسلام لانه الاكل وثوابه الافضل قلت صف لي منطقه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة
ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس
بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذوا
قا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب
لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا
تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض
واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام
قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني
اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه
وشكله فلم يدع منه شيئا الا وقد سأله وحققه قال الحسن سألت عن
ابي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه
مأذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة اجزاء جزءا لله تعالى
وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه بين الناس فيرد ذلك على العامة

بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل
الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم
ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة
من مسألته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد
منكم الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من
ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة
لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان بن
وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون اذلة يعني
فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم
كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي
عن احد منهم بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس
ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل
مخافة ان يغفلوا ويملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه
الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة
واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه
عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس
ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف

عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول وقد وسع
الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين
متفاضلين فيه بالتقوى وفي الروايات الاخرى وصاروا عنده في
الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه
الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير
الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير
ويرحمون فيه الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته
عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا
يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث من الرياء والاكثار ومما لا يعنيه
وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب
عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من
تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون
منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق
ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب
الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه
بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر

قلت كيف كان سكوته رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره
ففى تسويه النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى
ويغنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم فى الصبر فكان لا يغضبه
شئ يستفزه وجمع له فى الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به
وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الراى بما اصلح امته والقيام
لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله تعالى
وعونه **فصل فى تفسير غريب هذا الحديث** ومشكله قوله المشذب
اى البائن الطول فى نحافة وهو مثل قوله فى الحديث الاخر ليس
بالطويل الممغط والشعر الرجل الذى كانه مشط فتكسر قليلا
ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان نفرقت
من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر
اللون معناه نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا
اى زينتها وهذا كما قال فى الحديث الاخر ليس بالابيض امهق ولا بالادم
والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله فى الحديث
الاخر ابيض مشرب اى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل
الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل
قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع
فى الحديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة

وفى الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذى فى بياضها
حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها
وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج
فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر
والسرة بادن ذو لحم ومتماسك اى معتدل الخلق يمسك بعضه
بعضا مثل قوله فى الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس
بمسترخى اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اى
مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال
وهو احد معانى اشاح اى انه كان بادى الصدر ولم يكن فى
صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن و
الصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ
مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى وحكاه
ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الاخر
جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين
وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين
وسائل الاطراف او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل
اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الروايت الاخرى
وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى
الحديث ورحب الراحة اى واسعها وقيل كنى به عن سعة العطا

والجود وخمصان الأخمصين اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع
الذى لاتناله الأرض من وسطه القدم ومسيح القدمين اى
املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى هريرة رضى الله
عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له
اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح ابن
مريم عليهما السلام اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا
ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ
الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع
الخطو اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف
مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال
كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة
فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مد وانقبض
وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل
من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل
يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء اخر بالعامة ويدخلون رواداً
اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق
قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب
او الاكثر والعتاد العدة والشئ الخاطر المعد والموازرة المعاونة
وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ لمصلاه موضعاً معلوماً وقد ورد

نهيه عن هذا مفسرا فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس
نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اى لا يذكرون بسوء
ولا تنثى فلتاته اى لا يتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة وان كانت
من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله
ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل
الا من مكافئ على يد سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم له ويستفزه
وفى حديث اخر فى وصفه صلى الله عليه وسلم منهوش العقب اى
قليل لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها **الباب الثالث**
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه به فى الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف
انه صلى الله عليه وسلم اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل الناس
منزلة عند الله عز وجل واعلاهم درجة واقربهم زلفى **واعلم** ان الا
حاديث الواردة فى ذلك كثيرة جدا **وقد** اقتصرنا منها على صحيحها
ومنتشرها وحصرنا معانى ما ورد منها فى اثنى عشر فصلاً **الفصل**
الاول فيما ورد من ذكر مكانه عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر
والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه به فى الدنيا من مزايا
الرتب وبركة اسمه صلى الله عليه وسلم الطيب **اخبرنا** الشيخ ابو محمد
عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن الفرغانى
حدثنا ام القاسم بنت ابو بكر بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم هو

ابن عسل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى ثنا قيس عن الاعمش
عن عباية بن ربعى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم قسما
فذلك قوله عز وجل اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اليمين
وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلنى فى خيرها
ثلثا وذلك قوله عز وجل اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون
السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث
قبايل فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله سبحانه وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولافخر ثم
جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية عن ابى سلمة عن ابى هريرة
رضى الله عنهما قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال
وادم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع رضى الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى
من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وعن حديث انس رضى
الله عنه انا اكرم ولد ادم على ربى ولافخر وفى حديث ابن عباس
رضى الله عنهما انا اكرم الاولين والاخرين ولافخر وعن عائشة رضى
الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل فقال قلبت مشارق

الأرض

الأرض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بنى اب افضل من
بنى هاشم وعن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى
بالبراق ليلة اسرى به فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا
فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضى الله
عنهما عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم اهبطنى فى صلبه الى
الأرض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب
ابراهيم ثم لم يزل ينقلنى فى الأصلاب الكريمة الأرحام الطاهرة حتى
اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس
بن عبد المطلب بقوله فيه شعر من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع
حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا
علق بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من
صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق وردت نار الخليل مكتتما فى
صلبه انت كيف يحترق حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء
تحتها النطق وانت لما ولدت اشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق وروى
عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة رضى
وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم انه قال اعطيت خمسا وفى بعضها
ستا لم يعطهن نبى قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض
مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلاة فليصل واحلت لى

الغنايم ولا تحل لنبى قبلى وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفى
رواية اخرى بدل هذه الكلمة وقيل لى سل تعط وفى رواية اخرى
وعرض على امتى فلم يخف على التابع من المتبوع وفى رواية بعثت
الى الأسود والأحمر قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة
فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس
والسود الجن وفى الحديث الآخر عن ابى هريرة رضى الله عنه نصرت
بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جئ بمفاتيح خزائن
الأرض فوضعت بين يدى وفى رواية عنه وختم بى النبيون وعن
عقبة بن عامر رضى الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم انى فرط لكم
وانا شهيد عليكم وانى والله لانظر الى حوضى الان وانى قد اعطيت مفاتيح
خزائن الأرض وانى والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى ولكنى اخاف
عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبى الامى لا نبى بعدى اوتيت جوامع
الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضى الله
عنهما بعثت بين يدى الساعة ومن رواية ابن وهب رضى الله عنه انه
صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسئال
يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا
واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فقال جل جلاله
ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمى

ينادى به فى جوف السماء وجعلت الأرض طهورا لك ولا
متك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت تمشى
فى الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت
قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها
لنبى غيرك وفى حديث اخر رواه حذيفة رضى الله عنه بشرنى
يعنى ربه عز وجل اول من يدخل الجنة معى من امتى سبعون الفا
مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطانى ان لا تجوع
امتى ولا تغلب واعطانى النصرة والعزة والرعب يسعى بين يدى
امتى شهرا وطيب لى ولامتى الغنايم واحل لنا كثيرا مما شدد
على من قبلنا ولم يجعل علينا فى الدين حرج وعن ابى هريرة رضى
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبى من الانبياء الا وقد
اعطى من الآيات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذى
اوتيت وحيا اوحى الله الى فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم
القيمة معنى عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر
معجزات الأنبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة
القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة
وفيه كلام يطول هذا نحبه وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه
سوى هذا اخر باب المعجزات وعن على رضى الله عنه كل نبى
اعطى سبعة نجباء من امته واعطى نبيكم صلى الله عليه وسلم

اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى
الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله
والمؤمنين وانها لا تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار
وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انى عبد الله وخاتم النبيين وان ادم
لمنجدل فى طينته ودعوة ابى ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن
ابن عباس رضى الله عنهما قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم
على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على
اهل السماء قال ان الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم انى اله
من دونه الاية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا
الاية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه الاية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما
ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد
روى نحوه ابى ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضى الله عنهم
فقال نعم انا دعوة ابى ابراهيم يعنى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم وبشرنى عيسى ورات امى حين حملت بى انه خرج منها نور
اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت فى بنى سعد بن
بكر فبينا انا مع اخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءنى رجلان

عليهما ثياب بيض وفى حديث اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب
مملوة ثلجا فاخذانى فشقا بطنى قال فى غير هذا الحديث من نحرى
الى مراق بطنى ثم استخرجا منه قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة
سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه قال
فى حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم فى يده من نور يحار
الناظر دونه فختم قلبى فامتلا ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده
على مفرق صدرى فالتام وفى رواية جبرئيل عليه السلام قال
قلب وكيع اى شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان ثم
قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزننى بهم فرجحتهم ثم
قال زنه بمائة من امته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف
من امته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته
لوزنها قال فى الحديث الاخر ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا راسى
وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك
من الخير لقرت عيناك وفى بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك
على الله ان الله معك وملائكته قال فى حديث ابى ذر رضى الله
عنه فما هو الا ان وليا عنى فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد
مكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما ان ادم عليه السلام عند
معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتى ويروى تقبل توبتى
فقال الله له من اين عرفت محمدا قال رايت فى كل موضع من الجنة

مكتوبًا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله
تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية الأخرى
فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله
الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت
اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه اخر النبيين من
ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم عليه السلام يكنى بابي
محمد وقيل بابي البشر وروى عن شريح بن يونس انه قال ان الله ملائكة
سياحين عبادتها على كل دار فيها احمد ومحمد اكراما منهم لمحمد صلى
الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء
اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي
التفسير عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله عز وجل وكان تحته
كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف
ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب انني انا الله لا اله
الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه من وجد على الحجارة
القديمة مكتوب لا اله الا الله محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر

السمطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد
على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الأخر محمد رسول الله وذكر
الأخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالأبيض
لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه
اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة
لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه
وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت
فيه اسم محمد الا نما ورزق وجيرانهم وعنه عليه السلام ما ضر احدكم
ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد
صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش
ان النبي صلى الله عليه السلام لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده الآية قام خطيبا فقال
يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي
على نسائكم تفضيلا الحديث صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الأسراء من المناجاة
والرؤية وامامة الأنبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من
آيات ربه الكبرى ومن خصائصه صلوات الله عليه وسلامه قصة
الأسراء وما انطوت عليه من درجات الرفيعة مما نبه عليه الكتاب

العزيز وشرحته صحاح الأخبار قال الله تبارك وتعالى سبحان
الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الآية
وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا
خلاف بين المسلمين فى صحة الأسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو
نص القران وجاءت بتفصيله وشرح عجايبه وخواص محمد نبينا صلى
الله عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير
الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضى الشهيد ابو على والفقيه
ابو بحر بسماعى عليهما والقاضى ابو عبد الله التميمى وغير واحد من شيوخنا
قالوا ثنا ابو العباس العذرى ثنا ابو العباس الرازى ثنا ابو احمد
الجلودى ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا
حماد بن سلمة ثنا ثابت البنانى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتيت بالبراق وهو دابة ابيض
طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى يربط بها الانبياء ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من
لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب
بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت

قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى
الله عليهما فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر
مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو
قد اعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة
وذكر مثله فاذا انا بادريس صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى
بخير قال الله تعالى عز وجل ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء
الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب بى
ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى
صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء
السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره
الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا
ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشى تغيرت فما احد من
خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الى ما اوحى ففرض على
خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك
على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف
فان امتك لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم
قال فرجعت الى ربى فقلت يا رب خفف عن امتى فحط عنى خمسا فرجعت

الى موسى فقلت حط عنى خمساً فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع
الى ربك فاسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى
حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر
فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها
كتبت له عشراً ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فان عملها كتبت
سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى
ربك فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رحمه الله جود ثابت
رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب من
هذا وقد خلط فيه غيره عن انس رضي الله عنه تخليطاً كثيراً لا سيما من رواية
شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم
وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك
قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وروى
ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضاً مجيء جبريل الى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة
مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان
الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه
وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره

وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس رضي الله عنه قال كان
ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي
فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسل من ماء زمزم ثم جاء بطست
من ذهب ممتلئ حكمة وايماناً فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ
بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث
بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص
وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن
واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتاً مفيدة
في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفي قول كل نبي له مرحباً بالنبي
الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح
وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ثم عرج بي حتى ظهرت
بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس رضي الله عنه ثم انطلق
بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ادخلت
الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه فلما جاوزته يعني
موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته
الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقد
رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط

فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل
من هذا معك قال هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة
فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الأنبياء فاثنوا على ربهم وذكر
كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم
السلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا
صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه عز وجل فقال كلكم اثنى على ربه وانا
اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس
بشيرا ونذيرا وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير
امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي
صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما
فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن
سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي الى سدرة
المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الأرض
فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال تعالى
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي
هريرة رضي الله عنه من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة
المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة
المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير

طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي
شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة
الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله سبحانه اذ يغشى السدرة
ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا
واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما
والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت
له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده وعلمت موسى التورية وعيسى الانجيل وجعلته يبرئ الأكمه
والأبرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه عز وجل قد اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة محمد
حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون
وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك
عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك
سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية
الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي
الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك
بالله شيئا من امته المقحمات وقال ابن مسعود ما كذب الفؤاد ما رأى
الآيتين رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك

انه رى موسى عليه السلام فى السابعة قال بتفصيل كلام قال
ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع
على احد وقد روى انس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
صلى بالانبياء ببيت المقدس وعن انس رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل
جبريل فوكز بين كتفى فقمت الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر فقعد
فى واحدة وقعدت فى الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت
لمسست السماء وانا اقلب طرفى ونظرت جبريل كانه حلس لاط
فعرفت فضل علمه بالله على وفتح لى باب السماء ورايت النور الاعظم
واذا دونى الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله الى ما شاء ان
يوحى وذكر البزار عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه لما اراد الله
ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق
فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام
اسكنى فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم
فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذى يلى الرحمن تبارك وتعالى فبينا هو
كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من هذا يا جبريل فقال والذى بعثك بالحق نبيا انى لاقرب
الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتى هذه
فقال الملك الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر

انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب
صدق عبدى انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا فى بقية الا
ذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفلاح
وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدم اهل
السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن على بن الحسين
راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات
والارض قال القاضى رحمة الله عليه ما فى هذا الحديث من ذكر
الحجاب فهو فى حق المخلوق لا فى الخالق عز وجل فهم المحجوبون والبارى
جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على
ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء
كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله فى هذا الحديث
الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من
وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته
وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه
السلام عن الملك الذى خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته
منذ خلقت قبل ساعتى هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات
ويدل عليه قول كعب فى تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهى
علم الملائكة وعندها يجدون امر الله عز وجل لا يجاوزها علمهم
واما قوله الذى يلى الرحمن فيحمل على حذف المضاف اى يلى عرش الرحمن

اوامر اما من عظيم اياته او مبادى حقايق معارفه قما هو اعلم به
كما قال تعالى واسئل القرية اى اهلها **وقوله** فقيل من وراء الحجاب
صدق عبدى انا اكبر وظاهره انه سمع اى هذا الموطن كلام الله
جل وعز ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب اى وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته
فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه
فى غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه
والله سبحانه اعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء
بروحه او بجسده على ثلاث مقالات فذهب طائفة الى انه اسراء
بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحى
والى هذا ذهب معاوية **وحكى** عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه
اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك
الا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة رضى الله عنها ما فقدت جسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله** بينا انا نائم **وقول** انس وهو
نائم فى المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال فى آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد
الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد
وفى اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة
وعمر وابى هريرة ومالك بن صعصعة وابى حبة البدرى وابن مسعود
والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وسعيد بن المسيب وابن شهاب

وابن

وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن
جريج رضى الله تعالى عنهم وهو دليل قول عائشة رضى الله عنها وهو
قول الطبرى وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر
المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين **وقالت**
طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء
بالروح واحتجوا بقوله سبحانه وتعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذى وقع
التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبى صلى الله عليه
وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان
الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ فى
المدح **ثم اختلفت** هذه الفرق هل صلى ببيت المقدس ام لا ففى
حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان
وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا **قال القاضى** رحمه
الله عليه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسراء بالجسد
والروح فى القصة كلها وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار
ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس
فى الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال
بروح عبده **وقوله** تعالى ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما
لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه

ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه
وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء عليهم
السلام ببيت المقدس في رواية انس رضي الله عنه او في السماء على
ما روى غيره وذكر مجيء جبريل عليه السلام له بالبراق وخبر المعراج
واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقاء الانبياء فيها
وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلاة ومراجعته مع
موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج
بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها
ما ذكر قال ابن عباس رضي الله عنهما في رؤيا عين راها النبي صلى الله
عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر جاءني
جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا
فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد واذا بدابة وذكر
خبر البراق وعن ام هانئ رضي الله عنها انما قالت ما اسري بالنبي
صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام
بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى
الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رايت بهذا
الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون

وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر رضي الله عنه من رواية
شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة
اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك
فاجابه ان جبريل حملني الى المسجد الاقصى وعن عمر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي
في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه انية ثلاث
وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها
وعن ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف
بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى
اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس رضي الله عنه اتيت فانطلقوا
بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي
فسالتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه
الله الي انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى
خديجة وما تحولت عن جانبها فصل في ابطال حجة من قال انها
نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك فسماها
رؤيا قلنا قوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده يرده لانه
لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين

واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا نكذب به احد لان كل احد
يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار
متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم
الى انها نزلت في قصة الحديبية وما وقع في نفوس الناس من
ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله
في حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله
ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل فيه.. ان اول وصول الملك
اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس
في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم
استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبح
واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن
طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في
المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات والارض
وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى من آيات ربه
الكبرى فلم يستفق ويرجع الى الحال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام
وجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه
ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال
تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله عز وجل ولا يصح

هذا

هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبياء لعله كانت له في هذا
الاسراء حالات وجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة
النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد الله بن حميد عن
همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا في
الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم
واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب
بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب
الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس رضي الله
عنه فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان
في صغره صلوات الله عليه وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث
والاسراء كان باجماع بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية
انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره فانه
لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة
وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان
ابو ذر يحدث واما قول عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسده صلى الله
عليه وسلم فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ
زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف
في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول
الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة

بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة
بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا
لم تشاهد ذلك عائشة رضي الله عنها دل على انها حدثت بذلك عن
غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا
في الحديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عائشة رضي الله
عنها بالثابت والاحاديث الاخر اثبت ولسنا نعني حديث ام هانئ
وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عائشة رضي الله
عنها ما فقدت جسده ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم
الا بالمدينة وكل هذا يوهن بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده
لانكارها ان يكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما
لم تنكره فان قيل فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد
جعل ما راه القلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة
عين وجسد قلنا يقابله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر
للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى
لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر
قلبه ما راته عينه **فصل واما رؤيته** صلى الله عليه وسلم لربه
عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضي الله عنها **حدثنا**
ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني
ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا ثنا القاضي يونس بن مغيث

ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا
ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود بن ادم ثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر
عن مسروق انه قال لعائشة رضي الله عنها يا ام المؤمنين هل راى
محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث
من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات
لا تدركه الابصار الاية وذكر الحديث الى اخره وقال جماعة بقول عائشة [margin: عائشة]
وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته
في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه راه بعينه وروى عطاء عنه انه راه بقلبه
وعن ابي العالية عنه راه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحاق ان ابن
عمر ارسل الى ابن عباس رضي الله عنهم يسأله هل راى محمد ربه فقال
نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينه روي عنه ذلك من طرق
وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله
عليه وسلم بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى
افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردي قيل
ان الله سبحانه وتعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين **وحكى** ابو الفتح الرازي
وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن

الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب رضي الله عنهم فقال ابن عباس
اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد راى ربه عز وجل مرتين فكبر
كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين
محمد وموسى عليهما السلام فكلم موسى ورآه محمد صلى الله عليه
وسلم بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الاية قال
راى النبي صلى الله عليه وسلم وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب
القرظي وربيع بن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته بفؤادي ولم اره بعيني
وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
رايت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملاء الاعلى الحديث
وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه
وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب
عن ابن مسعود رضي الله عنه وحكى ابن اسحق ان مروان سأل
ابو هريرة رضي الله عنه هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال
نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن
عباس رضي الله عنهما بعينه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس
احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن على القول برؤيته
في الدنيا والابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره
وقد اختلف في تاويل الاية عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه

والحسن وابن مسعود رضي الله عنه وحكي عن ابن عباس وعكرمة راه
بقلبه وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله بن
احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطاء في قوله
تعالى الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح
صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري
رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه راى الله ببصره وعيني راسه
وقال كل اية اوتيها نبي من الانبياء صلوات الله عليهم فقد اوتي
مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية
ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح
ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى
والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى عز وجل في الدنيا جائزة
عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا
سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز عليه
بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب
الذي لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال له الله عز وجل لن تراني
اي لن تطيقني ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثالا مما هو اقوى من
بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته
تعالى في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع
على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا

حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الأبصار لاختلاف
التأويلات في الاية واذ ليس يقضي قول من قال في الدنيا لا
ستحاله وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه الأبصار الكفار وقيل
لا تدركه الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
وقد قيل لا تدركه الأبصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات
لا تقتضي منع الرؤية والاستحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني
الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان
من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تأويل وايضا فليس
فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى عليه السلام وحيث تتطرق
التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله
تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدر لي وقد قال ابو بكر الهذلي
في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه
من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان
رؤيته تبارك وتعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تراكيب اهل الدنيا
وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء ولم تكن لهم قوة
على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة
واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رايت نحو
هذا لمالك بن انس رحمة الله عليه قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى

الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة رزقوا ابصارا باقية رئي الباقي
بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا
من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده
واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر
في قوة بصر موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ونفوذ ادراكهما
بقوة الاهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما راياه والله
اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه
ان موسى عليه السلام راى الله تعالى فلذلك خر صعقا وان
الجبل راى ربه عز وجل فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط
ذلك والله اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا وتجليه جل جلاله للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا
القول وقال جعفر بن محمد رضي الله عنه شغله بالجبل حتى تجلى
ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى
عليه السلام وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه وبرؤية
الجبل انه راه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا
صلى الله عليه وسلم له اذ جعله دليلا على الجواز فلا رؤية في
الجواز اذ ليس في الايات نص وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم
والقول بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول

بالمنع وانما

فيه على ابى النجم والتنازع فيهما اما نور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر
قاطع متواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث
ابن عباس رضى الله عنهما خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبى صلى الله
عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابو ذر فى
تفسير الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد
والمتن وحديث ابى ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروى نور انى اراه
وحكى بعض شيوخنا انه روى نورانى اراه وفى حديث الاخر سألته
هل رايت ربك فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها
على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله تعالى
وانما راى نورا حجبه ومنعه عن رؤية الله سبحانه والى هذا يرجع
قوله نور انى اراه اى كيف اراه مع حجاب النور المغشى للبصر وهذا
مثل ما جاء فى الحديث الاخر حجابه النور وفى الحديث الاول لم اره بعينى
ولكن رايته بقلبى مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق
الادراك الذى فى البصر فى القلب او كيف شاء لا اله غيره فان
ورد حديث نص بين فى الباب اعتقد ووجب المصير اليه
اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعى يرده والله الموفق للصواب

فصل واما ما ورد فى هذه القصة من مناجاته الله عز وجل
وكلامه معه بقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنه
الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله تعالى الى جبريل عليه
السلام وجبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم الا الشذ وذ منهم فذكر
عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن
الواسطى والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم
كلم ربه فى الاسراء وحكى عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس
رضى الله عنهم وانكره اخرون وذكر النقاش عن ابن عباس فى قصة
الاسراء عنه عليه السلام فى قوله تعالى دنى فتدلى قال فارقنى
جبريل فانقطعت الاصوات عنى فسمعت كلام ربى وهو يقول ليهدأ روعك
محمد ادن ادن وفى حديث انس رضى الله عنه فى الاسراء نحو منه
وقد احتجوا فى هذا بقوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء
فقالوا هى ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلام
وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء صلوات الله عليهم واكثر
احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم
صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحى هنا هو
ما يلقيه فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر
ابو بكر البزار عن على رضى الله عنه فى حديث الاسراء ما هو اوضح
فى سماع النبى صلى الله عليه وسلم لكلام الله عز وجل من الاية
فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لى من وراء الحجاب
صدق عبدى انا اكبر انا اكبر وقال فى سائر كلمات الاذان مثل

ذلك وجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين وفي الفضل بعد
هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله سبحانه
لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من الانبياء صلوات الله عليهم
جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك
خبر احتمل عليه وكلامه عز وجل لموسى عليه السلام كاينة حق
مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة
ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه
ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع
صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان
من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات

فصل واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو
والقرب وقوله تعالى دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر
المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل صلوات
الله عليهما او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازي
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو محمد صلى الله عليه وسلم دنى فتدلى
من ربه وقيل معنى دنا قرب فتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي
قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرب
جل جلاله دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه
وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم

فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من عظمته وقدرته
قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه قال فارقني
جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس
رضي الله عنه في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار
رب العزة جل وتعالى فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى
فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء
وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم دنى من ربه عز وجل
فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما
ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين قال جعفر بن محمد والدنو
من الله تعالى لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية
عن الدنو الا ترى كيف حجب عن دنوه ودنى محمد صلى الله عليه وسلم
الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه
وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
اعلم انما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله تعالى او الى الله عز
وجل فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد
الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه
عز وجل وقربه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار
معرفته ومشاهدة اسرار غيبه من الله له مبرة وتأنيس وبسط واكرام

ويتأول في قوله عليه السلام وينزل ربنا الى السماء الدنيا
على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان
قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنى جعل ثم مسافة بل
كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذلا
دنو للحق ولا بعد وقوله تعالى قاب قوسين او دنى فمن جعل الضمير
عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا كان عبارة
عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف على
الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء
المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى له ويتأول
فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن
اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان
وتعجيل للمأمول **فصل في ذكر تفضيله** صلى الله عليه وسلم في القيمة
بخصوص الكرامة **حدثنا** القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين
قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين
بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام ابن حرب عن ليث عن مجاهد عن
الربيع بن انس عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا
اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع ابن

انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف على الف خادم كانهم لؤلؤ
مكنون **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه واكسى حلة من حلل
الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيري **وعن** ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد
ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا
اول من تنشق الارض عنه ولا فخر **وعن** ابي هريرة رضي الله
عنه عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة و
اول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع **وعن**
ابن عباس رضي الله عنهما انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق
الجنة فيفتح لي فيدخلنيها معي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والآخرين ولا فخر **وعن** انس رضي الله عنه انا اول الناس
يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا **وعن** انس رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم قال انا سيد الناس يوم القيمة
وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين وذكر انس حديث

الشفاعة وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه عليه السلام قال اطمع
ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفى حديث اخر اما ترضون
ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما فى امتى يوم
القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتى وذريتى فاجعلنى من امتك
واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى
اخى ليس بينى وبينه نبى وانا اولى الناس به قوله صلى الله عليه وسلم
انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيمة ولكن
اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره
اذ لجاء الناس اليه فى ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذى يلجا الناس
اليه فى حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد فى
ذلك ولا ادعاه كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
والملك له سبحانه فى الدنيا والاخرة لكن فى الاخرة انقطعت دعوى
المدعين كذلك فى الدنيا وكذلك لجاء الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس
فى الشفاعة فكان سيدهم فى الاخرى دون دعوى وعن انس رضى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى باب الجنة يوم القيمة
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح
لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه
ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من

شرب منه لم يظمأ ابدا وعن ابى ذر رضى الله عنه نحوه وقال طوله
ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان رضى
الله عنه مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفى رواية
حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال انس رضى الله عنه
ايلة وصنعاء وقال ابن عمر رضى الله عنهما كما بين الكوفة والحجر الاسود
وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة
بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعى والمستورد وابو برزة الاسلمى
وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد
الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدرى
وعبد الله الصنابحى وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء بنت
ابى بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضى الله عنهم **فصل فى
تفضيله صلى الله عليه وسلم** بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة
واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا
ابو القاسم ابن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو الهيثم
وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضى ابو الوليد
حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابو عامر حدثنا
فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابى سعيد رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى

لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق
ابن مسعود رضي الله عنه وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً وعن ابن
عباس رضي الله عنه قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابرهيم من خلقه خليلاً وقال
اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت
كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلاً وهو كذلك وموسى نجي الله
وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو
كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع وانا اول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك
حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم
الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من
قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلاً فهو مكتوب
في التورية انت حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى
الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل
المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء
من الصفوة وسمي ابرهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه

وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير
المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم لانه
قصر حاجته على ربه عز وجل وانقطع اليه بهمه ولم يجعله
قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق
ليرمى في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال
ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف
والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك عز وجل في كتابه
بقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب لا يواخذ بذنوبه قال هذا
والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال الله
تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الاية ولا يصح
ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد صلوات الله
عليهما بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه
والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة
الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل بواطنهما
من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما
واستصفاء قلوبهما عن من سواه حتى لم تخللها حب لغيره ولهذا
قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو معنى قوله عليه السلام

ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
واختلف العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة
المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل
الا حبيبا لكنه خص ابرهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله عليه
وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله عليه
السلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة ارفع
لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة
لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل
ابراهيم عليه السلام واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن
هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق
واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من
سعادته وعصمته وتوفيقه وهيئته اسباب القرب وافاضة
رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر
اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث لا يزال العبد يتقرب حتى
احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى
التجرد لله تعالى والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء
القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر

بعضهم عن الخلة بقوله **شعر** قد تخللت مسلك الروح مني
وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت حديثي واذا ما سكت
كنت الغليلا فاذن فرتبة الخلة وخصوصية المحبة حاصلة
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الاثار والصحيحة
المنتشرة المتلقاة بالقبول من الائمة وكفى بقوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله الاية **حكى** اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت
قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى
عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل غيظا لهم ورغما على مقالتهم
هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته
عليه السلام وقرنها بطاعته جل وعز ثم توعدهم على التولي
عنه بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين **وقد نقل** الامام
ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة
يطول جملة اشارته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر
منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة
من قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
والحبيب يصل لحبيبه اليه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى
وقيل الخليل الذي يكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في
حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

الآية والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قيل له يوم لا
يخزى الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في
المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله والخليل
قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك
ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الأصنام
والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال
من تفصيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيلا **فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة**
والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتب به الي بخطه ثنا سراج
بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الأصيلي ثنا ابو زيد وابو احمد قالا ثنا
محمد بن يوسف قال ثنا محمد بن اسمعيل قال ثنا اسمعيل بن ابان ثنا
ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما
يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثاء كل امة تتبع نبيها
يقولون يا فلان شفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي محمد
صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن
ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال

هي الشفاعة وروى كعب بن مالك رضي الله عنه عنه عليه
الصلوة والسلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي
على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله
ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر رضي الله عنهما وذكر حديث
الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام
المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام انه قيامه
عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون
ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي
فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك
يوم ينزل الله تعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى رضي الله
عنه عنه عليه السلام خيرت بين ان يدخل الجنة نصف امتي
وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين
ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة رضي الله عنه قلت
يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي
لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام
حبيبة رضي الله عنها قالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت
ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من
الله ما سبق للامم قبلهم فسألت الله ان يؤتيني شفاعة يوم

القيمة فيهم فيفعل وقال حذيفة رضى الله عنه يجمع الله الناس فى
صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا
اسكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك
والخير فى يديك والشر ليس اليك والمهتدى من هديت
وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك هو المقام المحمود الذى
ذكره الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا دخل اهل
النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من
النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم
ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون ادم وغيره بعده فى الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن
ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره على بن حسين رضى الله عنهما
عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير
سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعنى الذى يبعثه الله فيه قال
قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار
وذكر حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين وعن انس رضى الله عنه نحوه
وقال فهذا المقام المحمود الذى وعده وعن سلمان ان المقام المحمود
هو الشفاعة فى امته يوم القيمة ومثله عن ابى هريرة رضى الله
عنه وقال قتادة كان اهل العلم يرون المقام المحمود شفاعته يوم

٨٠

القيمة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه الصلوة والسلام
للشفاعة مذاهب السلف وعامة ائمة المسلمين رضى الله
عنهم اجمعين وبذلك مفسرة فى صحيح الاخبار عنه عليه الصلوة
والسلام وجاء مقالة فى تفسيرها شاذة يجب ان لا تثبت
اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سديد نظر ولو صحت لكان لها
تأويل غير مستنكر لكن ما فسره النبى عليه السلام برده فلا
يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يأت فى كتاب ولا سنة ولا اتفق
على المقال به ائمة وفى اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة
وفى رواية انس وابى هريرة رضى الله عنهما وغيرهما دخل حديث
بعضهم فى حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين
والآخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا
الى ربنا ومن طريق اخر عنه ماج الناس بعضهم فى بعض وعن
ابى هريرة رضى الله عنه فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم
ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم
فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك
الله بيده ونفخ فيك من روحه اسكنك جنته واسجد لك ملائكته
وعلمك اسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهانى عن الشجرة فعصيت نفسى

نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحاً فيقولون
انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبداً شكوراً
الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول
ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس رضي الله عنه يذكر
خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة
رضي الله عنه وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله فيأتون ابرهيم عليه السلام
فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضباً وذكر
مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن
عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التورية
وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست لها
ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم
بعيسى عليه السلام فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى عليه
السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عليه السلام فانه عبد
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فاوتى فاقول انا لها
فانطلق فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجداً
وفي رواية فاتى تحت العرش فاخر ساجداً وفي رواية فاقوم

بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليه الا ان يلهمنيها الله وفي رواية
فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على احد
قبلي وفي رواية ابو هريرة رضي الله عنه فيقول يا محمد ارفع
رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب
امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه
من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى
ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس رضي الله عنه هذا
الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجداً فيقول لي يا محمد ارفع رأسك
وقل يسمع لك اشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي
فيقول انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة
من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك
المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل
ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى
ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة
فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه
فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك
ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال
لا اله الا الله ومن رواية قتادة رضي الله عنه عنه قال فلا ادري
في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه

القران اى وجب عليه الخلود وعن ابى بكر وعقبة بن عامر وابى
سعيد وحذيفة رضى الله عنهم مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له
وتاتى الامانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط وذكر فى رواية
ابى مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون
اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه
وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر
اخرهم جواز الحديث وفى رواية ابى هريرة رضى الله عنه فاكون
اول من يجيز يوم القيمة وعن ابن عباس رضى الله عنهما عنه عليه
الصلوة والسلام توضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى
منبرى لا اجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا فيقول الله
تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل
حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم
من يدخل الجنة بشفاعتى ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال
قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد تركت لغضب
ربك فى امتك من نقمة ومن طريق زياد النميرى عن انس رضى
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق
الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعى
لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة فيقول لى من هذا
فاقول محمد فتفتح لى فيستقبلنى الجبار جل جلاله فاخر له ساجدا وذكر

نحو ما تقدم ومن رواية انس رضى الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما فى
الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار
ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من اول الشفاعات
الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ
منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب
فيشفع لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب
الناس كما جاء فى الحديث عن ابى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما
وهذا الحديث اتقن فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من امته
الى الجنة كما تقدم فى الحديث ثم يشفع فى من وجب عليه العذاب
ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا
اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفى الحديث
المنتشر الصحيح لكل نبى دعوة يدعو بها واختبأت دعوتى شفاعة
لامتى يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم
ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبى منهم من دعوة مستجابة ولنبينا
صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين
الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها
على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح وابو
هريرة رضى الله عنه وهذا الحديث لكل نبى دعوة دعا بها فى امته

فاستجيب له وانا اريد ان اخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته
في الدنيا واني اذخرت شفاعتي لامتي في العقبى ونحوه في رواية
ابي زرعة عن ابي هريرة رضي الله عنه وعن انس رضي الله عنه مثل رواية
ابن زياد عن ابي هريرة رضي الله عنه فتكون هذه الدعوة المذكورة
مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه
وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها
ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم
السؤال والرغبة جزاه الله احسن ما جزا نبيا عن امته وصلى
الله عليه وعلى اله وسلم تسليما كثيرا فصل في تفضيله صلى الله عليه
وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام
بن احمد بقراءتي عليهما قالا ثنا ابو علي الغساني قال ثنا النمري ثنا ابن
عبد المؤمن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن
وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة
عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه سمع
رسول الله عليه السلام يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله
لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان

اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وفي حديث اخر عن ابي هريرة رضي الله عنه الوسيلة اعلى درجة في
الجنة وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت
لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب
بيده الى طينه فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو رضي
الله عنهما مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من
العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق
شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن
عباس رضي الله عنهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا قال الكوثر
الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير النهر الذي
في الجنة من الخير الذي اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن
ربه واعطاني الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال
الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى
وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم والله تعالى اعلم فصل فان قلت
اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع الامة كونه صلى الله عليه
وسلم اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه
صلى الله عليه وسلم عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي قال ثنا

السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابو سفيان ثنا مسلم ابن
مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثني
ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير
من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث
ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى عليه السلام
على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى
الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لا تفضلوا بين الانبياء ثم قال ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى
وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل
من يونس بن متى وعن ابي هريرة رضي الله عنه ومن قال انا خير من يونس
بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يقولن احدكم انا خير من
يونس بن متى وفي حديث الاخر جاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذلك
ابرهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عليه
السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل
اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله
لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو انما هو في الظاهر
عن التفضيل الوجه الثاني انه قال صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع

ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث
ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض
منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله تعالى
عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط
من رتبته الرفيعة اذ قال الله تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون
اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده
حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة
فان الانبياء عليهم السلام فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد
لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات
والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل
بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو العزم من الرسل
ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر
وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله
تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال عز وجل تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل
المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته
ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون
في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به
من كراماته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله

من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روى ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس بن متى
تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة
من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح فى نبوته او قدح فى اصطفائه
او فى اجتبائه وحط من رتبته و وهن فى عصمته شفقا عليه فحفظه
منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه
خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اى لا يظن احد وان
بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل
ماحكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار
لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا
بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه
شبهة المعترض فصل فى اسمائه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من
فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابى تليد الفقيه قال ثنا ابو عمر الحافظ
ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى ثنا مالك
عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى
الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب وقد سماه
الله تعالى فى كتابه محمدا واحمد فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه
ثناءه فطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة

من صفته الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم
اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد
الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر وينتشر
فى تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما
وعد يحمد فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من
المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى امته فى كتب انبيائه
عليهم السلام بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم فى هذين
الاسمين من عجايب خصايصه وبدايع اياته فن اخر هو ان الله
جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذى اتى فى
الكتب وبشرت به الانبياء صلوات الله عليهم فمنع الله بحكمته ان
يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف
القلب او شك وكذلك لك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا
غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده ان
نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان
يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح
الاوسى ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن براء البكرى ومحمد بن
سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفى ومحمد بن خزاعى السلمى لا سابع لهم
ويقال اول من سمى محمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمدى من الازد
ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعى النبوة او يدعيها احد له او يظهر

عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله
عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله صلى الله عليه وسلم وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد
العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون
المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد
ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله
صلى الله عليه وسلم وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي اي
على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي
عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء وفي الصحيح انا العاقب الذي ليس بعدي
نبي وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل
على قدمي على سابقتي قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم
وقيل على قدمي اي على قدامي وحولي اي يجتمعون الي في القيمة
وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء
قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة
والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه
ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي
وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره
لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول

الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت
النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه واري
ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير
وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام اللهم
ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة وقد يكون القيم بمعناه وروى
النقاش عنه عليه السلام لي في القران سبعة اسماء محمد واحمد
وطه ويس والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث عن جبير بن
مطعم رضي الله عنه هي ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وماح وعاقب
وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان عليه السلام يسمي
لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبي
التوبة ونبي الملحمة ونبي الرحمة ويروى الرحمة والمرحمة وكل صحيح
ان شاء الله تعالى ومعنى المقفى معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين
واما نبي التوبة والرحمة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمومنين رؤف رحيم
وقد قال عليه السلام في صفة امته انها امة مرحومة وقال
تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا
فبعثه عليه السلام ربه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما
بهم ومترحما ومستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها

والراحة

بالرحمة واوصاها بالتراحم يوم القيمة واثنى عليهم فقال ان الله يحب
من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من
فى الارض يرحمكم من فى السماء واما رواية نبى الملحمة فاشارة
الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهى صحيحة
وروى حذيفة مثل حديث ابى موسى رضى الله عنه وفيه ونبى
الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم وروى الحربى فى حديثه انه
عليه السلام انه قال اتانى ملك فقال لى انت قثم اى مجتمع قال
والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو فى اهل بيته عليهم السلام
معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته فى القرآن
عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر و
النذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم
النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم صدق ورحمة للعالمين
ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم
والنبى الامى وداعى الله فى اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها
فى كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق
الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابى القاسم والحبيب
ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقى والمصلح والطاهر والمهيمن
والصادق والمصدوق والهادى وسيد ولد ادم وسيد المرسلين
وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب

الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء
والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة
والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة
والنعلين ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتوكل والمختار
ومقيم السنة والمقدس وروح القدس وروح الحق وهو معنى البار
قليط فى الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذى يفرق بين الحق
والباطل ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب السالفة ماذ
ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار
وقال ثعلب فالخاتم الذى ختم الله به الانبياء والحاتم احسن الانبياء
خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا فى التورية
احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اى السيف
وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته
كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذى كان يمسكه صلى الله
عليه وسلم وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التى وصف بها
فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة فى حديث
الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن واما التاج فالمراد به
العمامة ولم تكن الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه صلى الله
عليه وسلم والقابه وسماته فى الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع

ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروى عن
انس رضى الله عنه انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل عليه السلام
فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم صلى الله عليه وسلم فصل
فى تشريف الله تعالى له عا تسماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من
صفاته العلى صلى الله عليه وسلم قال القاضى ابو الفضل رضى الله
عنه ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه فى سلك
مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى
استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض
فى الفصل الذى قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله
خص كثيراً من انبيائه بكرامة خلعها الله عليهم من اسمائه كتسمية اسحق
واسمعيل بعليم وحليم وابراهيم عليه السلام بحليم ونوح بشكور وعيسى
ويحيى عليهما السلام ببر وموسى عليه السلام بكريم وقوى ويوسف
عليه السلام بحفيظ عليم وايوب عليه السلام بصابر واسمعيل عليه
السلام بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم
صلوات الله عليهم وفضل محمد انبينا صلى الله عليه وسلم بان نحلاه منها
فى كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه عليهم السلام بعدة كثيرة اجتمع
لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق
اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا منها فى هذا الفصل
نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة

بابانة ما لم يظهره لنا الان ويفتح غلقه فمن اسمائه سبحانه
الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا
بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبى صلى الله
عليه وسلم محمداً واحمد محمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه فى زبور
زبر
داود والحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى
نحو هذا حسان رضى الله عنه بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو
العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه عز وجل الرؤف الرحيم وهما
بمعنى متقارب وسماه تعالى فى كتابه بذلك فقال تعالى بالمؤمنين
رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود المتحقق
امره وكذلك المبين اى البين امره والهيته بان ابان بمعنى بين ويكون
بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى صلى الله عليه
وسلم بذلك فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين
وقال وقل انى انا النذير المبين وقال يا ايها الناس قد جاءكم الحق
من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل هو محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره
وهو بمعنى الاول والمبين معناه البين امره ورسالته او المبين
عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى
النور ومعناه ذو النور اى خالقه او منور السموات والارض
بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال تعالى

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
القران وقيل المراد بهما محمد صلى الله عليه وسلم وقال فيه سراجا
منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين
والعارفين بما جاء به ومن اسمائه سبحانه الشهيد ومعناه العالم
وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه في كتابه شهيدا وشاهدا
فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا
وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير و
قيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه
تعالى الاكرم وسماه كريما بقوله تعالى انه لقول رسول كريم قيل
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جبريل عليه السلام وقال عليه السلام
انا اكرم ولد ادم ومعاني الاسم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم
ومن اسمائه عز وجل العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه
وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في
اول سفر من التورية عن اسمعيل عليه السلام وسيلد عظيما لامة
عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى
الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل
المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال
تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة
يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة

بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم
خطره ونفى تعالى عنه في القران جبرية التكبر التي لا تليق به فقال
وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه سبحانه الخبير ومعناه المطلع بكنه
الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن
فسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المامور بالسؤال غير
النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم
وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الله عز
وجل فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه
عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته
مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تبارك وتعالى
الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة
والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق
ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر
وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء
الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي
هريرة رضي الله عنهم وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما
وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد
مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح

هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم
لمعرفة الحق والايمان بالله والناصر للحق والمبتدئ بهداية الامة
او المبتدئ المقدم فى الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول
الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث ومن اسمائه عز وجل فى الحديث
الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثنى على المطيعين وقيل
الشكور لمن شكره ووصف بذلك نبيه نوحًا عليه السلام فقال انه
كان عبدًا شكورا وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم بذلك
نفسه فقال افلا اكون عبدًا شكورًا اى معترفًا بنعم ربى عالمًا
بقدر ذلك مثنيًا عليه مجهدًا نفسى فى الزيادة من ذلك لقوله تعالى
لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه سبحانه العليم والعلام وعالم الغيب
والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية
منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه جل
جلاله الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها
والباقى بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر وقال عليه السلام
كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث وفسر بهذا قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدًا صلى الله
عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول

٥٩

من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع و
اول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلوات الله عليهم ومن
اسمائه عز وجل القوى وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد
وصفه الله بذلك فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد
وقيل جبريل عليهما السلام ومن اسمائه تعالى الصادق فى الحديث
المأثور وورد فى الحديث ايضًا اسمه عليه السلام الصادق
المصدوق ومن اسمائه سبحانه الولى والمولى ومعناهما الناصر
وقد قال تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام انا ولى
كل مؤمن وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين وقال صلى الله عليه
وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه ومن اسمائه تبارك وتعالى العفو
ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه فى القرآن والتورية وامره
بالعفو فقال خذ العفو وقال واعف عنهم واصفح وقال له جبريل
وقد سأله عن قوله تعالى خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك و
قال فى التورية فى الحديث المشهور فى صفته ليس بفظ ولا غليظ
ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه جل جلاله الهادى وهو بمعنى
توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء وقال
الله تعالى والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط
مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل فى تفسير طه
انه يا طاهر يا هادى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له

وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال تعالى فيه وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا فالله تعالى مختص بالمعنى الاول
قال الله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء و
بمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن
وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن فى حقه تعالى المصدق وعده
عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله
وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده فى الدنيا من ظلمه والمؤمنين
فى الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبى
صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا
فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به
قبل النبوة وبعدها وسماه العباس فى شعره مهيمنا فى قوله ثم اغتدى
بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن قاله
القتبى والامام ابو القاسم القشيرى وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين اى يصدق وقال عليه السلام انا امنة لاصحابى فهذا
بمعنى المؤمن ومن اسمائه سبحانه القدوس ومعناه المنزه عن
النقايص المطهر من سمات الحدوث وسميت المقدس لانه يتطهر
فيه من الذنوب ومنه الوادى المقدس وروح القدس ووقع
فى كتب الانبياء فى اسمائه عليه السلام المقدس اى المطهر
من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر

تصدق بوجوده لما شهد عندك من كرمه وجوده

او الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم
وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى
مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه
تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذى لا نظير له او المعز
لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اى الامتناع وجلالة
القدر وقد وصف عز وجل نفسه بالبشارة والنذارة فقال
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك
بيحيى وبكلمة منه وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اى
مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه عز وجل
فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما
من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل قال
القاضى ابو الفضل رحمه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها
هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم
عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوى التشبيه وتزحزحه
عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل جلاله فى عظمته وكبريائه
وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته
ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى اذ صفات القديم بخلاف صفات
المخلوق فكما ان ذاته عز وجل لا تشبه الذوات كذلك صفاته ولا تشبه

صفات المخلوقين اذ صفاتهم لاتنفك عن الاغراض والاعراض وهو
تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى فى هذا قوله
تعالى ليس كمثله شئ ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين
التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات
وزاد هذه النكتة الواسطى رحمه الله بيانا وهو مقصودنا فقال
ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته
صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة
ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة
قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضى الله
عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيرى رحمه الله قوله هذا
ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد
وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهى بوجودها مستغنية وكيف
يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل
ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ولا معالجة ظهر وفعل
الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه
باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو
المعالى عبد الملك الجوينى من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو
مشبه ومن اطمان الى النفى المحض فهو معطل وان ومن قطع بموجود
اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذى

النون المصرى رحمه الله حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله
سبحانه فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل
شئ صنعه ولا علة لصنعه وما تصور فى وهمك فالله بخلاف ذلك
وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله تعالى
ليس كمثله شئ والثانى تفسير لقوله تعالى عز وجل لا يسئل عما
يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير لقوله تعالى انما قولنا لشئ
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد
والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفى الضلالة والغواية من التعطيل
والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى

على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات صلى
الله عليه وسلم قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه حسب المتامل
ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
ولا لطاعن فى معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين
حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدى
وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده بل الفناه لاهل
ملة الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا فى محبتهم له
ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت فى هذا
الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عنده
واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد

اضفنا اليها بعض ما وقع فى مشاهير كتب الائمة واذا تأمل المتأمل
انصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة
عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله
لم يمتر فى صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد فى اسلامه
والايمان به فروينا عن الترمذى وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان
عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه
ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله قال
ثنا ابو الحسين الصيرفى وابو الفضل ابن خيرون عن ابى يعلى البغدادى
عن ابى على السنجى عن ابن محبوب عن الترمذى قال ثنا محمد بن بشار ثنا
عبد الوهاب الثقفى ومحمد بن جعفر وابن ابى عدى ويحيى بن سعيد عن عوف
بن ابى جميلة الاعرابى عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث
وعن ابى رمثة التيمى اتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى ابن لى فاريته
فلما رايته قلت هذا نبى الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد على كلماتك هؤلاء
فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان
رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبى صلى الله عليه وسلم

بالمدينة فقال هل معكم شئ تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا
وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل
لا ندرى من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه
رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا
رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر
وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفى خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله
لقد دلنى على هذا النبى الامى انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى
عن شئ الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر
ويفى بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبى وقال نفطويه فى قوله تعالى
يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم
يتل قرانا كما قال ابن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره
ينبئك بالخبر وقد آن ان ناخذ فى ذكر النبوة والوحى والرسالة وبعده
فى معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله جل
اسمه قادر على خلق المعرفة فى قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه
وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة ولو شاء لكما حكى
عن سنته فى بعض الانبياء صلوات الله عليهم وذكره بعض اهل التفسير
فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب

وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة يبلغهم كلامه ويكون ذلك
الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء عليهم السلام او من
جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا
ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم
في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم
قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه
فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه
وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز
ماخوذة من النباء وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا
والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي
منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله
عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع
من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة
فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسل فهو المرسل من ربه ولم
يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله هو امر الله تعالى
بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء
الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكأنه الزم تكرير التبليغ او الزمت
الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين
فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى

وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال
قال ولا يكون الرسول الا نبيا ولا النبي الا رسولا وقيل هما
مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب
والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها
وافترقا في زيادة الرسالة التي للرسول وهو الامر بالانذار
والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا
شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا
من نبي رسول الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم
الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول
وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل
رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم عليه السلام
وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه عنه
عليه السلام ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي
وذكر ان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم فقد بان لك
معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف
ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما
الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي
وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي
وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة

اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
اى اومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اى السرعة
وقيل اصل الوحى السر والاخفاء ومنه سمى الالهام وحيا ومنه
قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اى يوسوسون فى
صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اى القى فى قلبها وقد
قيل ذلك فى قوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى
ما يلقيه فى قلبه دون واسطة **فصل** اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت
به الانبياء عليهم السلام معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها
وهى على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه
فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمنى الموت وتعجيزهم عن الاتيان
بمثل القرآن على رأى بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم
فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج
ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق
القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله عز وجل فيكون ذلك على يد النبى
صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتى بمثله
تعجيز له واعلم ان المعجزات التى ظهرت على يد نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو
اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهى
فى كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد

معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبى صلى الله عليه وسلم
قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا
اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها وقدرها معجزة
ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم
معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا
متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجىء النبى صلى الله عليه وسلم
به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته فان انكر هذا معاند جاحد
فهو كانكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وانما جاء اعتراض
الجاحدين فى الحجة به فهو فى نفسه وجميع ما تضمنه من معجزاته معلوم
ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال
بعض ائمتنا ويجرى هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه
السلام ايات وخوارق عادات وان لم يبلغ واحد منها
معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية فى جريان معانيها على يديه ولا
يختلف مؤمن ولا كافر انه قد جرت على يديه عجائب وانما خلاف
المعاند فى كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وان
ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا صلى الله
عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة
عنترة وحلم الاحنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على
كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم

ولا يقطع بصحته والقسم الثاني هو ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع
وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند
المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الأصابع
وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه
العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى
واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمناه قال القاضي ابو الفضل رحمه
الله وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه
صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع أما انشقاق القمر فالقرآن
نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء
برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف
اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب
ضعفاء المؤمنين بل يرغم بهذا انفه وينبذ بالعراء سخفه وكذلك
قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن
الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن
الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك
كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة
الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر
ولم يؤثر عن احد من الصحابة رضي الله عنهم مخالفة للراوي فيما حكاه
ولا انكار عما ذكر عنهم انهم رأوه كما رأوه فسكوت الساكت منهم كنطق

الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب
وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم
وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها
من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في
ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته صلى الله عليه
وسلم لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على
باطل لا بد مع مرور الأزمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف
ضعفها وخمول ذكرها كما نشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والأراجيف
الطارئة واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق
الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة
طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء
نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك
اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة
بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من أئمتنا القاضي و
الأستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي اوجب قول القائل
ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته
للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى
بطريق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص
المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند

واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس لا يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة
وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون
اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة
وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلوة
للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه فان
الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس
وان مذهبهما القصاص بالمحدد في القتل وغيره وايجاب النية في الوضوء
واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم
ممن لم يشتغل بمذاهبهم فلا يدري اقوالهم ولا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا
عمن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيل الكلام فيها بيانا ان
شاء الله تعالى **فصل في اعجاز القرآن** اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب
الله العزيز المنطوي على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط
انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه
ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا
الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به
غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن
فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة و
وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون
بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون

ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون
من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط
اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن
ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان
ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي
ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري
والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة
والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة
الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة
البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون
ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا
فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا
لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين و
تقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول
كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت
فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه
وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه
واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم

افصح ما كانوا فى هذا الباب مجالا واشهر فى الخطابة رجالا واكثر
فى السجع والشعر سجالا وارتجالا واوسع فى الغريب واللغة مقالا بلغتهم
التى بها يتحاورون ومنازعهم التى عنها يتناضلون صارخا بهم فى كل حين
ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملاء اجمعين ام يقولون
افتريه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى
قوله تعالى ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله الاية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب
واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال
له وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثانى فضل وبينهما شأو بعيد
فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه
احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم واباءهم ويستبيح
ارضهم وديارهم واموالهم وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته
محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء
وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى اكنة مما تدعونا اليه
وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ولعمرى

وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك
من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح
كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم
ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين
مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله
عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا
بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر
فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه
خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى
ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى المسجد فاذا هو برجل قائم
على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم
ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين
يقرأ اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن
مريم من احوال الدنيا والاخرة وهى قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش
الله ويتقه الاية وحكى الاصمعى انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك
الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله عز وجل واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع فى اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره

على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله
عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم
ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في
فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه
البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها
عن معارضته واعتراف المقرين بايجاز بلاغته وانت اذا تأملت
قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقوله عز وجل ولو ترى اذ فزعوا فلا
فوت واخذوا من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله سبحانه وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من
ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران حققت
ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن
تاليف حروفها وتلاؤمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة
وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها
وكثرة المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال
واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام
ويذهب ماء البيان اية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام
سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على طولها ثم اذا ترددت
قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي

في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس
من ترديدها ولا معاداة لمعادها **فصل الوجه الثاني** من اعجازه صورة
النظم العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج
نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع اية وانتهت
فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع
احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم
ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز
او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة و
قرا عليه القران رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم
احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا
وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود
العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا قالوا فقالوا
نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول
شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه
وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول
ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال
ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب
القول انه ساحر وانه سحر يفرق به بين المرء وابيه وابنه والمرء

واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل
يحذرون الناس فانزل الله تعالى فى الوليد ذرنى ومن خلقت وحيدا
الايات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم
انى لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا
والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال
النضر ابن الحارث نحوه وفى حديث اسلام ابى ذر رضى الله عنه ووصف
اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخى انيس لقد ناقض اثنى
عشر شاعرا فى الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابى
ذر بخبر النبى صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر ساحر كاهن ثم قال لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم و
لقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدى
انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار فى هذا صحيحة كثيرة
والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب
الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على
الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها
والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى
بهم الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول
تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة
وقطعا ومن تفنن فى علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب

هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة
فى وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع فى قوة جزالته ونصاعة
الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان
يكون فى مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق
عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن
الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه
لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله تعالى هذا وعجزهم عنه وقال به
جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة
عليهم بما يصح ان يكون فى مقدور البشر وتحديهم بان يأتوا بمثله قاطع
وهو ابلغ فى التعجيز فاحرى بالتقريع والاحتجاج بمجئ بشر مثلهم بشئ
ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال
فما اتوا فى ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات
الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباءة الضيم بحيث لا يؤثرون
ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت
من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم
لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقدوة فى المعرفة به لجميع الانام وما
منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره
فما جلوا فى ذلك خبيئة من نبات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم
مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما بسوا

ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه **فصل الوجه الثالث** من
الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد
كما ورد على الوجه الذى اخبر **كقوله** تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان
شاء الله امنين وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله عز
وجل ليظهره على الدين كله وقوله سبحانه وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الاية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى
اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس فى بضع سنين
ودخل الناس فى الاسلام افواجا فما مات النبى صلى الله عليه وسلم
وفى بلاد العرب كل موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين
فى الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق
الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لى الارض فاريت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها **وقوله** انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى فى تغييره وتبديل
محكمه من الملحدة والمعطلة لاسيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم
اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شئ من نوره ولا
تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه والحمد لله
ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر **وقوله** عز وجل قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله تعالى هو الذى ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق الاية وقوله سبحانه لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم

الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود
ومقالهم وكذبهم فى حلفهم وتقريعهم بذلك **كقوله** تعالى ويقولون
فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول **وقوله** عز وجل يخفون فى
انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله تعالى ومن الذين هادوا
سماعون للكذب الاية وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن
مواضعه الى قوله فى الدين **وقد** قال مبديا ما قدره الله واعتقده
المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين
ولما نزلت بشر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله
كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك
على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة
فصل الوجه الرابع ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم
البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة
الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده
النبى صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه فيعترف العالم
بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله
عليه وسلم امى لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة
لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم **وقد** كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه

صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القران ما يتلوا عليهم منه
ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته
واصحاب الكهف وذى القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء
والقصص وبدء الخلق وما فى التورية والانجيل والزبور وصحف
ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر
منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقى
معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود
على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى
كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله
عليه وسلم وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودع
سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم
عن الروح وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم
وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات
كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى ذلك مثلهم فى التورية و
مثلهم فى الانجيل وغير ذلك من امورهم التى نزل فيها القران فاجابهم
وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة
نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران
وابن صوريا وابنى اخطب وغيرهم ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة
وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعى الى اقامة حجته

وكشف

وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعى الى احضار ممكن غير ممتنع فمن
معترف بما جحده ومتواقح يلقى على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان
احدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من
صحفه قال الله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الايتين فصل هذه الوجوه
الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة
فى اعجازه من غير هذه الوجوه اى وردت بتعجيز قوم فى قضايا و
اعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق
الزجاج فى هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة
لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم
وعن النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم
الا غص بريقه يعنى يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر
صدق رسوله وصحة ما اوحى اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه
احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت
حجته وقال ابو محمد الاصيلى رحمه الله من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم
جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه
وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة

من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابو الأسلام فانزل الله
عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء
الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن
قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم تعالى انهم
لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن
فيها من التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه
واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة
خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم
نفورا كما قال الله تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه
السلام ان القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن
فلا يزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة
لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال عز وجل لو انزلنا هذا
القران على جبل الاية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من
لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف
يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجي والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة
قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر
فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا

في

في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم
الخالقون الى قوله ام هم المصيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية
وذلك اول ما وقر الايمان الاسلام في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه
كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلى عليه حم
فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده
على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرا وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره
معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام
عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه
انتهوا فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي
بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته
اوه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب
ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرا وقيل يا ارض ابلعي
ماءك فرجع ومحا ما عمل قد وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو
من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال
بليغ الاندلس في زمانه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترته فاعترتني منه خشية
ورقة حملتني على التوبة والانابة فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة
كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه الاية وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام انقضت
بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقران العزيز العظيم الباهرة اياته
الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم من خمسمائة عام وخمسين وثلاثين
سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار
كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان
الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم
من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه
على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور
عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل
وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان
قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده
يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن
والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في
الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك
حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها
ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق
على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع
منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته

الجن

الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد
فامنا به ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى
الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها
احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع
والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة
بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا
ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها اول مرة
ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم
والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال الله تعالى
جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله انزل هذا القران امرا وزاجرا وسنة خالية
ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم
لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به
صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر
ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله
الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط
المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة

لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة
الرد ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف ولا يتشانق
فيه نبأ الاولين والاخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله
عليه وسلم اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما
وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم
بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى هذا بيان
للناس وهدى ورحمة الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه
اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه
فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن وصفه
وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده
فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم
اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى على الافهام فا
لناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه
لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القران
للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجم على مرور السنين
عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض
اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن

التخلص

التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على
اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي
وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتفريد
وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائد دون خلل يتخلل
فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته
ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص
وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك
القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم
وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من
الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا
والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيدها ولا
مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته
بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء عليهم
السلام كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة
التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه
ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها
اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان نعد فنا منفردا في اعجازه
الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره
عنهم نعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه

الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن
وعجايبه التي لا تنقضي وبالله سبحانه التوفيق وهو المستعان وهو
الموفق للصواب **فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس** قال الله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر اخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة
عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا
الحسين بن محمد الحافظ من كتابه ثنا القاضي سراج بن عبد الله
ثنا الاصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا
يحيى بن سعيد عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش
ونحن بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى
رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه مسروق انه كان بمكة
وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان
محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض
كلها فاسئلوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسئلوهم فاخبروهم
انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال

فقال

فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا
اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا
يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة
فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن
مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير
بن مطعم رضوان الله عليهم فقال علي من رواية ابي حذيفة
الارحبي انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن انس رضي الله عنه سال اهل مكة النبي صلى الله عليه و
سلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى راوا حراء بينهما
رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم
القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه
عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن
عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة رضي الله عنهم ورواه عن ابن عمر
مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي
رضي الله عنهم واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة
ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل
الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم
رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز
تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في

واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين
وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض
او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات
في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية
وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية
القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون واجاف
الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا
الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري
كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات
بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان
بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث
عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة
رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها
طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء
في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي
ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ

حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير
في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحق لما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير
قالوا متى تجيء فقال يوم الاربعاء قال فلما كان ذلك اليوم اشرفت
قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا النبي صلى الله عليه وسلم
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس فصل في نبع الماء
من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم اما الاحاديث
في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى
الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود رضي
الله عنهم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه ثنا
القاضي عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن الفخار
ثنا ابو عيسى ثنا عبد الله ثنا يحيى قال ثنا مالك عن اسحق بن عبد الله
بن ابي طلحة عن انس بن مالك رضي الله عنهم قال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء
فلم يجدوه فاتي النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤوا
منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى
توضؤوا من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه
ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفي

رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضاً حميد وثابت
والحسن عن انس رضي الله عنهم وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال
ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضاً وهم نحو من سبعين رجلاً
واما ابن مسعود رضي الله عنه ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما
نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه
في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر رضي الله
عنه عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم
بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس
عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في
الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت
كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله
عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة
بن الصامت رضي الله عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر
الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي
صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد
بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله

عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر
عليه فقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين
اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر
الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي
احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة
وهي ملأى وعن الشعبي اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء
غيرها فسكبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركوة ووضع
اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون
ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين رضي الله
عنه ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق
التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت
عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء
قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكره
احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار
كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله
عليه وسلم تفجير الماء ببركته وابتعاثه بمسه ودعوته فما روى
مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة
تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك

تغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع فى شئ ثم غسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير
فاستقى الناس قال فى حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له
حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك
حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفى حديث البراء وسلمة
بن الاكوع وحديثه اتم فى قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة
وبئرها لا تروى خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها
قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء
واتى بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها
فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفى غير هاتين الروايتين
فى هذه القصة من طريق ابن شهاب فى الحديبية فاخرج سهما من
كنانته فوضع فى قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن
وعن ابى قتادة رضى الله عنه وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم العطش فى بعض اسفاره فدعا بالميضاة
فجعلها فى ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى
رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل الى انها كما اخذها منى وكانوا اثنين
وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبرى حديث
ابى قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبى صلى الله عليه وسلم
خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عندما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا

فيه معجزات وايات للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم
يفقدون الماء فى غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء
ثلثمائة وفى كتاب مسلم انه قال لابى قتادة احفظ على ميضاتك
فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران ابن
حصين حين اصاب النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش
فى بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان
امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها
واتيا بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل فى اناء من مزادتيها
وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء فى المزادتين ثم فتحت
عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤه قال
عمران ويخيل الى انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد
حتى ملأ ثوبها وقال اذهبى فانا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله
سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال نبى الله صلى الله عليه
وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها فى قدح
فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفى حديث عمر
رضى الله عنه فى جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان
الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر رضى الله عنه
الى النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت
السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن

شعيب ان اباطالب قال للنبى صلى الله عليه وسلم وهو رديفه
بذى المجاز عطشت وليس عندى ماء فنزل النبى صلى الله عليه وسلم
فضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب والحديث فى هذا
الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه فصل
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه قال حدثنا
القاضى الشهيد ابو على ثنا العذرى ثنا الرازى ثنا الجلودى ثنا ابن
سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا
معقل عن ابى الزبير عن جابر رضى الله عنه ان رجلا اتى النبى صلى الله
عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته
وضيفه حتى كاله فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله
لأكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابى طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه
وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء به انس تحت
يده اى ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث
جابر رضى الله عنه فى اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل
من صاع من شعير وعناق قال جابر رضى الله عنه فاقسم بالله لأكلوا حتى
تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هى وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصق فى العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد
بن ميناء وايمن وعن ثابت رضى الله عنه مثله عن رجل من الانصار وامرأته
ولم يسمهما قال وجئ بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

يبسطها فى الاناء ويقول ما شاء الله فاكل من فى البيت والحجرة والدار
وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام لذلك وبقى بعد
ما شبعوا مثل ما كان فى الاناء وحديث ابى ايوب انه صنع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولابى بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم
فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين وكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين
فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل
من طعامى مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتى النبى صلى
الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم
ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن ابى بكر كنا مع النبى
صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر فى الحديث انه عجن صاع من طعام
وصنعت شاة فشوى سواد قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة
الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون
وفضل فى القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن
ابى عمرة الانصارى عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابى هريرة وعمر بن
الخطاب رضى الله عنهم فذكر والمخمصة اصابت الناس مع النبى صلى الله
عليه وسلم فى بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية
من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذى اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع
قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقى فى الجيش

وعاء الآملون وبقى منه قدر وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال
امرنى النبى صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى
جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا منها ما شئنا وفرغنا وهى مثلها
حين وضعت الا ان فيها اثر الأصابع وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه
انه قال جمع النبى صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين منهم
قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى
شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقى كانه لم يشرب منه
وقال انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره
ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلاء البيت والحجرة وقدم اليهم
تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه
وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقى التور نحوا مما كان وكان القوم
احدا واثنين وسبعين وفى رواية اخرى فى هذه القصة او مثلها ان القوم
كانوا زهاء ثلاثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لى ارفع فرفعت فلا ادرى
حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفى حديث جعفر بن محمد عن ابيه
عن على رضى الله عنه ان فاطمة عليها السلام طبخت قدرا لغدائهما ووجهت
عليا الى النبى صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه
صحفة صحفة ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلى ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض
قالت فاكلنا ما شاء الله وامر النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هى الا

اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض
من التمر وبقى بحاله من رواية دكين الاحمسى ومن رواية جرير ومثله
من رواية النعمان ابن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب
من مزينة ومن ذلك حديث جابر فى دين ابيه بعد موته وقد كان بذل
لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن فى ثمرها سنتين كفاف دينهم
فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدادها وجعلها بيادر
فى اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل
مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفى رواية مثل ما اعطاهم قال وكان
الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة
فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ قلت نعم شئ من التمر
فى المزود قال فاتنى به فادخل يده صلى الله عليه وسلم فاخرج قبضة
فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة
كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وادخل يدك
واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر رضى الله عنهما الى ان
قتل عثمان فانتهب منى فذهب وفى رواية فقد حملت من ذلك التمر
كذا وكذا من وسق فى سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية فى غزوة
تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابى هريرة
رضى الله عنه حين اصابه الجوع فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم

فوجد لبنا فى قدح قد اهدى اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت
ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم
وذكروا النبى صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطى الرجل
فيشرب حتى يروى ثم يأخذ الاخر حتى روى جميعهم قال فاخذ النبى صلى
الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذى بعثك
بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفى حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبى صلى الله عليه وسلم شاة
وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبى
صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها فى دلو خالد ودعا له
بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابى ومن
حديث الاجرى فى انكاح النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه
فاطمة عليها السلام ان النبى صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة
من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك
فطعن فى رأسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى
فرغوا وبقيت فضلة منها فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن
واطعمن من غشيكن وفى حديث انس رضى الله عنه تزوج النبى صلى
الله عليه وسلم بعض نسائه فصنعت امى ام سليم حيسا فجعلته فى تور
فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لى فلانا

وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر
انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبى
صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبى صلى الله
عليه وسلم يده على الطعام ودعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول
فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لى ارفع فما ادرى حين وضعت كانت
اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة فى الصحيح
وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رضوان
الله عليهم رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا يتعد بعدهم رضى
الله عنهم واكثرها وردت فى قصص مشهورة ومجامع مشهودة
ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر
فصل فى كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله
عليه وسلم قال حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما
اجازنيه عن ابى عمر الطلمنكى عن ابى بكر المهندس عن ابى القاسم البغوى
حدثنا احمد بن عمران الاخنسى قال حدثنا ابو حيان التيمى وكان صدوقا
عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى سفر فدنا منه اعرابى فقال يا اعرابى اين تريد
قال الى اهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على
ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهى بشاطئ الوادى فادعها فاتتها

تجيبك قال فدعاها فاقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه ثم
فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن
بريدة انه قال سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل
لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين
يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة
حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام
عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فامرها
فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع فاستوت فقال الأعرابي ايذن لي
ان اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها
قال فايذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له وفى الصحيح فى حديث
جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى
حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادى فانطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احدهما فاخذ بغصن من اغصانها
فقال انقادى على باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى
يصانع قائده وذكر انه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى اذا كان
بالمنصف بينهما قال التئما على باذن الله فالتأمتا وفى رواية اخرى
قال لى يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحقى بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت
بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر فجلست احدث نفسى فالتفت

فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا
فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى
اسامة بن زيد نحوه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
بعض مغازيه هل تفى مكانا لحاجة رسول الله فقلت ان الوادى
ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت رأى
نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يأمركن
ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك
فقلت ذلك لهن فوالذى بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن
حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى
حاجته قال لى قل لهن يفترقن فوالذى نفسى بيده لرايتهن والحجارة
يفترقن حتى عادن الى مواضعهن قال يعلى بن سبابة رضى الله عنه
كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين
وذكر فامر وديتين فانضمتا وفى رواية اشاءتين وعن غيلان بن
سلمة الثقفى مثله فى شجرتين وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم مثله فى غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو
ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم على وفى

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذنت النبي صلى الله عليه
وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود رضي الله عنه
في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى
ابن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن
عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها
ورواها عنهم من التابعين واضعافهم فصارت في انتشارها من القوة
حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف
ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت
على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث
انس رضي الله ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وراه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت
تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن
علي رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني اية
لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه
وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبي
صلى الله عليه وسلم اري ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت

حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن رحمه الله
انه عليه السلام شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله اية
يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة
فادع غصنا منها ياتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب
بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال
يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه اللهم ارني اية
لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق
من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى
اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح فصل في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار الاحاديث
حديث حنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به
متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة رضوان الله عليهم بضعة
عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن
عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام
سلمة والمطلب بن ابي وداعة رضوان الله عليهم كلهم يحدث بمعنى هذا
الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان
المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب
يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت

العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل
وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب وابي حتى تصدع وانشق
حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي
نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر
كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق وعن انس رضي الله عنهم
وفي بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره او جعلت في السقف
وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما
هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا
وذكر الاسفراىني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه
يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال
يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي
كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان
شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي
صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل
مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء
فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه من الله فانتم احق ان تشتاقوا
الى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبد الله ويقال عبيد الله بن
حفص وايمن وابو نصرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب
وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابي
طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نصرة وابو
الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم
وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن
المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه خرجه اهل
الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم
الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب
والله المثبت على الصواب فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط
ثنا المهلب ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري
ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو احمد الزبيري قال ثنا اسرائيل
عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا ناكل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس رضي الله عنه

لخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصا فسبحن في يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في
ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان
وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها
فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم
علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال
عليه السلام لما استقبلني جبرئيل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا
قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس
اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر
من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت
آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه
جبرئيل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح
وعن انس رضي الله عنه انه قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال
فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر ايضا في حراء عن عثمان قال ومعه
عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين

وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد
روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني
اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله
وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر
وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير
المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص
في الحجارة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير
بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع
لوجهه حتى ما بقي منهم صنم ومثله في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقال
فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك
حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب
لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له
اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا له
ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما
جلس مال الفيء عليه صلوات الله عليه وسلامه فصل في الآيات في ضروب

الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ ثنا ابى ثنا
القاضى يونس ثنا ابو الفضل الصقلى ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه
وجده قالا حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن
عمرو ثنا مجاهد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا
كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم
يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروى
عن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى محفل من اصحابه
اذ جاء اعرابى قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبى الله فقال واللات والعزى
لا امنت بك او يؤمن بك هذا الضب وطرحه بين يدى النبى صلى الله
عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين
يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال له من تعبد
قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة
رحمته وفى النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين
وقد افلح من صدقك وقد خاب من كذبك فاسلم الاعرابى ومن ذلك قصة
كلام الذئب المشهورة عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه بينا راع يرعى
غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعى منه فاقعى الذئب وقال للراعى
الا تتقى الله حلت بينى وبين رزقى قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام
الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعى النبى صلى الله

عليه وسلم فاخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال
صدق وللحديث فيه قصة وفى بعضه طول وروى حديث
الذئب عن ابى هريرة رضى الله عنه وفى بعض الطرق عن ابى هريرة
فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا
قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها
على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير
فى جنود الله قال الراعى من لى بغنمى قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم
الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبى صلى الله
عليه وسلم يقاتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها
بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس
وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن ابى سلمة بن
عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه
بمثل حديث ابى سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابى سفيان
بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبى الحرم
فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله
بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات
والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر
وانه جرى لابى جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس رضى الله عنه لما
تعجب من كلام ضماد ضمار وانشاده الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله

عليه وسلم فاذا طائر سقط وقال يا عباس اتعجب من كلام ضماد ولا تعجب
من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام
وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون
خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب
وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل
فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس رضي الله عنه دخل
النبي صلى الله عليه وسلم حائط انصاري وابو بكر وعمر ورجل رضي الله
عنهم من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود
لك منها الحديث وعن ابي هريرة رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه
وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة
بن ابي مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال
وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه فجاءه فوضع مشفره في الارض وبرك بين
يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله
الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر اخر في حديث
الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا
ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة
العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم ذبحه بعد ان

استعملتموه في شاق العمل في صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء
وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد صلى الله
عليه وسلم وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته عليه السلام حتى ماتت ذكره
الاسفرايني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه
وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة
ابن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة الغار امر الله شجرة
فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا في فم
الغار وفي حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له
ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله
عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى النبي
بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن
يبدا وعن ام سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء
فنادته ظبية يا رسول الله فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي
ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع
قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه
الاعرابي وقال يا رسول الله لك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها
فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقى الاسد فعرفه انه مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق
وذكر فى منصرفه مثل ذلك وفى رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت
فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعل يغمزنى بمنكبه حتى اقامنى على الطريق واخذ صلى الله عليه وسلم
باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها
ميسما وبقى ذلك الاثر فيها وفى نسلها بعد وما روى عن ابراهيم
بن حماد بسنده من كلام الحمار الذى اصابه بخيبر وقال له اسمى يزيد بن
شهاب فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور
اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبى صلى الله
عليه وسلم لما مات تردى فى بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التى
شهدت عند النبى صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها
ملكه وفى العنز التى اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عسكره
وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها
وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره
وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى جاء بها هو
الذى ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلوة
فى بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا

وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلوات الله عليه وسلامه
ويلتحق بهذا ما رواه الواقدى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وجه
رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم فى يوم واحد فاصبح كل
رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه اليهم والحديث فى هذا
الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور ومن ذلك وما وقع فى كتب الائمة
رحمة الله عليهم فصل فى احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان
والمراضع وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة حدثنا ابو الوليد
هشام بن احمد الفقيه بقراءتى عليه والقاضى ابو الوليد محمد بن
رشد والقاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى وغير واحد سماعا واذنا
قالوا حدثنا ابو على الحافظ قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زيد عبد الرحمن
بن يحيى ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابى ثنا ابو داود ثنا وهب بن
بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة
رضى الله عنهم ان يهودية اهدت للنبى صلى الله عليه وسلم بخيبر
شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم
وقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتنى انها مسمومة فمات بشر بن البراء
وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك
الذى صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها
فقتلت وقد روى هذا الحديث انس رضى الله عنه وفيه قالت اردت
قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا انقتلها قال وكذلك

عن ابي هريرة رضي الله عنه من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه
ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي
رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة
بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه
فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت
اكلة خيبر تعاودني فالان اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان
المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع
ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات
في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر رضي الله عنهم وفي رواية قولة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها
وكذلك قد اختلف في قتله للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت
عندنا وقد روي انه قتله وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر
مثله الا انه قال في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا
وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث
مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو

كلام يخلقه الله تعالى فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها
ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر
رحمهما الله واخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعد
وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذا لم نجعل
الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها
مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي
فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي
خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام
اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه
النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع
وقال ان الله جل جلاله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة
امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم
بنقل تسبيحه او حنينه ولخباره ولم ينقل احد من اهل السير والرواية
شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر
والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله
وروى عن معرض بن معيقيب رضي الله عنه رايت من النبي صلى
الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي

صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم
بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة
بمكة في حجة الوداع وعن الحسن ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر
له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها
باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك
فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت
لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس رضي الله عنه ان
شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت
مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى
نبيك رجاء ان يعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة
فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن
عبيد الله الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان
قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر
الصديق وعمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر
عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع
وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا
فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك
في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله
عنهم ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد

ميتا كما كان فسبحان القديم لا اله الا هو فصل في ابراء المرضى
وذوي العاهات قال اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنا
وقرأته على غيره قال ثنا ابو اسحق الحبال قال ثنا ابو محمد بن النحاس
ثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن
اسحق حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية
احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني النبل لا نصل له فيقول ارم
وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت
واصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه واحدهما
وروى قصة قتادة عاصم بن عمرو بن قتادة وزيد بن عياض بن عمرو بن
قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم
في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح
وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله
ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم
قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد
اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه
في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة
اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده جثوة

من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى
ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر
العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان
لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر
فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين
يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل
على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر
وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم
خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب
حين قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق
اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب
فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه
برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن
عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها
فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف
اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه
حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه
حتى صح واتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض
فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرا الغلام

وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما
جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه
مثل الجرو الاسود فسعى وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب
وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرا لحينه وكانت في كف
شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر
وسالته جارية طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت
قليلة الحيا فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن
صلى الله عليه وسلم يسال شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي
عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء منها

فصل في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع جدا واجابة
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر
على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد
ولده قال حدثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن ابي الاسود ثنا
حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن انس رضي الله عنه قال قالت امي
يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده

وبارك له فيما اتيته وفي رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي
لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة وفي
رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت
بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه
دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالبركة
قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا
وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه
الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف
وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين
الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه
العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها
واحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن
ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا
صلوات الله عليه بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر
وقال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس في بعض
مغازيه عطش فسأله عمر الدعا فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم
اقلعت ودعا صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه
المطر فدعا فصحوا وقال لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك له في شعره

وبشره فمات وهو ابن سبعين وكانه ابن خمس عشرة وقال
للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان
احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين
ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس رضي الله عنهما اللهم
فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا
لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح
فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله
لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى
اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى
التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة
فدعا فجاءه بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة
فاسلمت ودعا لعلي رضي الله عنه ان يكفى الحر والقر فكان يلبس
في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء فلا يصيبه حر
ولا برد ودعا لفاطمة ابنته رضوان الله عليها الله ان لا يجيعها قالت
فما جعت بعد وسأله الطفيل ابن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له
فسطع نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى
طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على
مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على
كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت

لفارس بائسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة
ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل راه يأكل بشماله فقال كل
بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال
لعتبة ابن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وقال لامراة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية
عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته
وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم
بدر ودعا على الحكم ابن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي
صلى الله عليه وسلم اذ رآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات
ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته
مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب
الوادي وجحد رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله
عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال
اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي
رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل في ذكر كراماته وبركاته
وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره صلى الله عليه وسلم
اخبرنا حدثنا احمد بن محمد ثنا ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي
ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا
حدثنا ابو الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا

ثنا الفربري ثنا البخاري حدثنا عبد الاعلى بن حماد ثنا يزيد بن
زريع ثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه ان
اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره بطيئا فلما رجع
قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان
قد اعيى فنشط حتى كان لا يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس
لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها
نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن
عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره في
قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه فلم يشهد بها قتالا الا رزق
النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها اخرجت
جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي ابو
علي عن شيخه ابي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة
من قصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء
للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان
ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها
ومات قبل الحول وسكب صلى الله عليه وسلم من فضل وضوئه
في بئر قبا فما نزفت بعد وبصق في بئر كانت في دار انس فلم يكن

بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل اسمه بيسان
وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتى بدلو من ماء
زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين
عليهما السلام لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا
وكانت لام مالك عكة تهدى فيها للنبي صلى الله عليه وسلم
سمنا فامرها صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها
فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها فيسئلونها الادم وليس عندهم شيء
فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل
في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك
بركته يده فيما المنسه اوغرسه لسلمان حين كاتب مواليه على ثلثمائة
ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب
فقام النبي عليه السلام وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره
فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها
فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن
منها لمواليه اربعين اوقية وبقى عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث
حنش بن عقيل رضي الله عنه سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد

شبعها

شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى
قتادة بن نعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال
انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك
عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج
فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد
السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب
وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا
صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده
يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا
السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب
سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته صلى الله عليه
وسلم في درور الشياه الحوايل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد
واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها
وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد
ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه
فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه
من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات
وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن غير واحد
منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب

يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على ظهره وبطنه وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة ورأسه ابيض وموضع كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرئ واستوى شعره وعلى مثله في خبر المطلب بن قتادة وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرؤا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس الجنون ومج عليه السلام في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين بدر ورمى بها في وجوه الكفار وقال

شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره يبسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يرى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما

فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها الدال على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءته على غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عثمان ابن ابي شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله

عليه وسلم من قايد فتنة الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة
فصاعدا الا قد سماه ذلك لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال
ابوذر رضى الله عنه لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
يحرك طاير جناحيه فى السماء الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل
الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من
الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق
وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله و
ان المدينة ستغزى وبفتح خيبر على يد على فى غد يومه وما يفتح الله على امته
من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر
وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل
من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة
وانهم ستكون لهم انماط ويغدو احدهم فى حلة ويروح فى اخرى
وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر
الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا
المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط
شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب
كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى
لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب
الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور

الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له
الارض فارى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوى له
منها فكذلك كان امتدت فى المشارق والمغارب ما بين ارض
الهند اقصى المشارق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك
ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد فى الجنوب ولا فى الشمال مثل ذلك
وقوله عليه السلام لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى
تقوم الساعة ابن المدينى الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقى
بالغرب وهو الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد
المغرب كذا فى الحديث بمعناه وفى حديث اخر من رواية ابى امامة
لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى
يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت
المقدس واخبر بملك بنى امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ
بنى امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود
وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدى وما ينال اهل بيته
فقتيلهم وتشريدهم وقتل على رضى الله عنه وان اشقاها الذى
يخضب هذه من هذه اى لحيته من رأسه وانه قسيم النار يدخل
اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان ممن عاداه الخوارج و
الناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال
يقتل عثمان رضى الله عنه وهو يقرأ المصحف وان الله عسى

ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على
قوله تعالى فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا
وبمحاربة الزبير لعلي رضي الله عنهما وبنباح كلاب الحوأب على بعض
ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت فنبحت
على عائشة رضي الله عنها عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله
الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل
للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع
المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة
وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن
بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق
فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رأيت الملائكة
تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل
قال ابو سعيد ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش
ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف
كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وبان مسيلمة يعقره الله وان
فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلاثون
ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال
عليه السلام ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة
ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة ثم

واخبر بشان اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها
وسيكون في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث
اخر ثلاثون دجالا كذابا اخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب
على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم
ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه
رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا
يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وقال لا يأتي
زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي
اغيلمة من قريش قال ابو هريرة رضي الله عنه راويه لو شئت
لسميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة
وسب اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في
الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون
بعده اثرة واخبر صلوات الله عليه بشان الخوارج وصفتهم والمخدج
الذي فيهم وان سيماهم التحليق اللحا ويرى رعاء الغنم رؤس الناس
والحفاة العراة يتباهون في البنيان وان تلك الامة ذريتها وان قريشا
والاحزاب لا تغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي
يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون
في البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله

رجال من ابناء فارس وهاجت ريح فی غزاته فقال هاجت لموت
منافق فلما رجعوا الی المدینة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه
ضرس احدكم فی النار اعظم من احد قال ابو هریرة رضی الله عنه
فذهب القوم یعنی ماتوا وبقیت انا ورجل فقتل مرتداً یوم الیمامة
واخبر بالذی غل خرزاً من خرز یهود فوجدت فی رحله وبالذی غل
الشملة وحیث هی وناقته علیه السلام حین ضلت وكیف تعلقت
بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الی اهل مكة وبقضیة عمیر مع
صفوان حین ساره وشارطه علی قتل النبی صلی الله علیه وسلم فلما
جاء عمیر النبی صلی الله علیه وسلم قاصد القتل فاطلعه رسول الله
صلی الله علیه وسلم علی الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذی تركه عمه
العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غیری وغیرها
فاسلم واعلم انه سیقتل ابی بن خلف وفی عتبة بن ابی لهب انه یاكله كلب
من كلاب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال فی الحسن
ان ابنی هذا سید وسیصلح الله به بین فئتین ولسعد لعلك تخلف
حتی ینتفع بك اقوام ویستضر بك اخرون واخبر بقتل اهل موتة یوم
قتلوا وبینهم مسیرة شهر او ازید وبموت النجاشی یوم مات وهو
بارضه واخبر فیروز اذ ورد رسولاً علیه من كسری بموت كسری
ذلك الیوم فلما حقق فیروز القصة اسلم واخبر اباذر بتطریده
كما كان ووجده فی المسجد نائماً فقال له كیف بك اذا اخرجت منه

قال

قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحدیث وبعیشه
وحده وبموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقاً اطولهن
یداً فكانت زینب اسرعهن لحوقاً به لطول یدها بالصدقة
واخبر بقتل الحسین بالطف واخرج بیده تربة وقال فیها مضجعه
وقال فی زید بن صوحان یسبقه عضو منه الی الجنة فقطعت یده
فی الجهاد وقال علیه السلام فی الذین كانوا معه علی حراء اثبت
فانما علیك نبی وصدیق وشهید فقتل علی وعمر وعثمان وطلحة والزبیر
وطعن سعد وقال لسراقة كیف بك اذا لبست سواری كسری
فلما اتی بهما عمر البسهما ایاه وقال الحمد لله الذی سلبهما كسری
والبسهما سراقة وقال تبنی مدینة بین دجلة ودجیل وقطربل
والصراة تجبی الیها خزائن الارض یخسف بها یعنی بها بغداد وقال
صلی الله علیه وسلم سیكون فی هذه الامة رجل یقال له الولید
هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتی
تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر فی سهیل بن عمرو وعسی ان
یقوم مقاماً یسرك یا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابی بكر یوم بلغهم
موت النبی صلی الله علیه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوی
بصائرهم وقال لخالد حین وجهه لاكیدر انك تجده یصید البقر وجمیع
هذه الامور كلها فی حیاته وبعد موته كما قال صلوات الله علیه
وسلامه الی ما اخبر به جلساءه من اسرارهم ومواطنهم واطلع

عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين
حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن
عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي
سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع
نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان فكان كما قال صلى الله عليه وسلم
ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة ما في
صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها
ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم ووصفه
لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه
نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت
وصولها وكان كله كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر به من الحوادث
التي تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله صلى الله عليه
عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج
الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وايات حلولها وذكر
الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات
القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء
وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية
واكثرها في الصحيح وعند الائمة والله المستعان **فصل في عصمة الله تعالى له**
من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس

وقال

وقال عز وجل واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس
الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل
غير هذا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك
الذين كفروا الاية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي
قراءة عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري
قالا ثنا ابو الحسين الصيرفي قال ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو
علي السنجي ثنا ابو العباس المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا
عبد بن حميد ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحارث بن عبيد عن سعيد
الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله
يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه
من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي
جل وعز وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا
اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم
قال ما يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه و
ضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت
هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة
وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم
من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم

بدر وقد انفرد عليه السلام من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه
رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روى انه وقع له مثلها في غزوة
غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل
اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا اين ما
كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل
دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك
واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان غورث
بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به
الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت
فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده
الزلخة وجع الظهر وقيل في قصة غير هذا وذكر ان فيه نزلت
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم الاية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما
نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد
قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها
انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها
من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه

ابو بكر وفي يدها فهر من الحجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر
واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت اين صاحبك
يا ابا بكر فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابي العاص قال تواعدنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة
احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى
اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا
والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر رضي الله عنه تواعدت انا وابو جهم
بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا
فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب
ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات
اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته
قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم
وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على رؤوسهم وخلص
منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيا الله له من الايات ومن
العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل
الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه من قبل ان
يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه
احد لما كانت هناك الحمام وقصته صلوات الله عليه مع سراقة

بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر
الجعائل فاندب به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي
صلى الله عليه وسلم فساخت قوايم فرسه فخرّ عنها واستقسم بالازلام
فخرج له ما يكره ثم ركب فرسه ودنى حتى سمع قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه
وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتها وخر
عنها فزجرها فنهضت ولقوايمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له
النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر ولخبرهم
بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف
يقول للناس كفيتم ما هنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي
فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا
عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري
ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحق
وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه
فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه
ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش
بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شانه فذكر انه عرض لي
دونه فحل ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك جبريل لو دنى لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا

من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله
على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى
اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن
اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض
اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي
صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد
قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم
قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير
يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو بن امية فقال له حيي بن
اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس
النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتواطأ حيي
معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام
كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى
الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ابا جهل وعد قريشا
لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه
وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه
متقيا بيديه قيل فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق
مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة

قد ملأت الأرض فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنى لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمير اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمته تعالى له ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به

وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته من امور شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به

اذا سمع ما يدعوا اليه صوته واستحسنه دون طلب اقامة برهان
عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم
واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار
اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب
والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم العلم
مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة واصولا
فى علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهى على رجل طائر وقوله
الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين
من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب
وقوله اصل كل داء البردة وما روى عنه من حديث ابى هريرة رضى
الله عنه من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان
هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطنى وقوله
خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشى وخير الحجامة يوم
سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفى العود الهندى
سبعة اشفية وقوله ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن الى قوله
فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد
سئل عن سبا ارجل هو ام امراة ام ارض فقال رجل ولد عشرة
تيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه
فى نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب

الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب
ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان
غاربها وذروتها وقوله عليه السلام ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله فى الحوض زواياه
سواء وقوله فى حديث الذكر وان الحسنة بعشر امثالها فتلك
مجموعها مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة فى الميزان
وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق
والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله
لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه
وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتى علم كل شئ حتى قد وردت اثار بمعرفته
حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس رضى الله عنهما وقوله
فى الحديث الاخر الذى يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه
صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق
السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا
وان لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق
علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات
العرب وحفظه معانى اشعارها فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه
اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله عليه السلام

فى الحديث سنه سنه وهى حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج
وهو القتل بها وقوله فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه اشكنب درد
اى وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم
به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة
اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امى لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف
بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشىء
من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشىء منها قال الله تعالى وما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية انما كانت غاية معارف
العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما حصل
ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة
اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل
الى جحد الملحد لشىء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة فى دفع ما قصصنا
الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله تعالى
لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ما قالوه مكابرة
العيان فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومى وسلمان
انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد
من الايات واما الرومى فكان اسلم وكان يقرأ على النبى صلى الله
عليه وسلم واختلف فى اسمه وقيل بل كان النبى صلى الله عليه وسلم
يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمى اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء

اللسن وقد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم
وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمى الكن نعم وقد كان سلمان
او بلعام الرومى او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم فى اسمه
بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكى عن واحد منهم شىء من مثل
ما كان يجىء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة
شىء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه
وقوة حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم
منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من
اخبار كتبه ولا غاب النبى صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت
اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل
بين اظهرهم يرعى فى صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج
عن بلادهم الا فى سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل
فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان فى سفره فى صحبة قومه
ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة
من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا
بعد كله لكان مجىء ما اتى به من معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا
لكل حجة ومجليا لكل امر **فصل ومن خصائصه عليه الصلوة والسلام**
وكراماته وباهر اياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له
بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى

وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل الاية وقال تعالى اذ يوحي
ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم الايتين وقال تعالى واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن الاية حدثنا سفيان بن العاصي
الفقيه بسماعي عليه حدثنا ابو الليث السمرقندي ثنا عبد الغافر
الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابو سفيان ثنا مسلم ثنا عبيد الله
بن معاذ ثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش
عن عبد الله قال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل في
صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل
وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم
ليلة الاسراء مشهور وقد راهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن
مختلفة فراى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله
عن الاسلام والايمان وراى ابن عباس واسامة رضي الله عنهم
وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية وراى سعد رضي الله عنه على
يمينه ويساره جبريل وميكائيل عليهما السلام في صورة رجلين
عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة
خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون
الضارب وراى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق
بين السماء والارض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران

بن الحصين واري النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة
فخر مغشيا عليه وراى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع
كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب ابن عمير
لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم
انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال
بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال صلى الله عليه وسلم
نغمة الجن من انت فقال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس
فذكر انه لقي نوحا عليه السلام ومن بعده في حديث طويل وان
النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها
عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك
العزى وقال عليه السلام ان شيطانا تفلت على البارحة ليقطع علي
صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان
رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الاية فرده الله خاسئا
وهذا باب واسع فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته
ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب

من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذى بين
كتفيه وما وجد فى ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع
والأوس بن حارثة وكعب بن لؤى وسفيان بن مجاشع وقس بن
ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذى يزن وغيرهم وما عرف به من امره
زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميرى وعلماء اليهود
وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفى من ذلك
فى التورية والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات
ممن اسلم منهم مثل ابن سلام وبنى سعية وابن يامين ومخيريق
وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة و
ضغاطر وصاحب بصرى واسقف الشام والجارود وسلمان
والنجاشى ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من
علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالم
النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن
صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم
من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقا
والاخبار فى هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى
بما ذكر انه فى كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت
عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم
ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته

وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله
لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب
الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتورية فاتلوها
ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق
وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندى
وابن خلصة الدوسى وسعد بنت كريز وفاطمة بنت النعمان
ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول
وقت رسالته وسمع من هواتف الجن ومن ذبائح النصب واجواف
الصور وما وجد من اسم النبى صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة
مكتوبا فى الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام
من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل ومن ذلك ما ظهر
من الايات عند مولده** صلى الله عليه وسلم وما حكته امه ومن
حضره من العجائب وكونه رافعا راسه عندما وضعته شاخصا
ببصره الى السماء وما رأته من النور الذى خرج معه عند ولادته
وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن ابى العاص من تدلى النجوم وظهور
النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد
الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدى واستهل سمعت
قائلا يقول رحمك الله واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى
نظرت الى قصور الروم وما تعرفت به حليمة وزوجها ظئراه

من بركته ودر لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة
شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب ليلة مولده صلى الله
عليه وسلم من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض
بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان
إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا فإذا
غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون
شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت أم أيمن
حاضنته ما رأيته صلى الله عليه وسلم شكا جوعا ولا عطشا صغيرا
ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين
ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة
عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره
في الخبر المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل
عليه الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره عليه فقال له
عمه ما بالك قال إني نهيت عن التعري ومن ذلك إظلال الله له بالغمام
في سفره وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان
يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه
في سفره وقد روي أن حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروي
ذلك عن أخته من الرضاعة من غير الرواية ومن ذلك أنه نزل في بعض
أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت

فأشرقت وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة
إليه في الخبر الآخر حتى أظلته وما ذكر من أنه كان لا ظل لشخصه في شمس
ولا قمر لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه
ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه ثم إعلامه بموته ودنو
أجله وأن قبره في المدينة وفي بيته وأن بينه وبين منبره روضة من
رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة
من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه
في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم
الذي سمعوه أن لا ينزعوا القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية
الخضر والملائكة أهل بيته عند موته إلى ما ظهر على أصحابه من
كراماته وبركاته في حياته ومماته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير
واحد بذريته **فصل قال القاضي أبو الفضل** رحمه الله قد أتينا في
هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته
مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا
واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن
كثير الأحاديث وغريبها على ما صح واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره
مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب
هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات
نبينا أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه

لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس
على ذلك فان اردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم
من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا
القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل
اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة
وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا بقوله تعالى فاتوا بسورة
من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول
بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين
الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر
كلمات فتجزاء القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من
سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين
طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان
فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم
الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء
من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه
الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد
يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة
والاخبار الصادرة عنه عليه السلام في هذه الابواب وعما دل

على امره مما اشرنا الى جمله تبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح
معجزاته فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل ازمانهم وبحسب
الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية
علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه
فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك
زمن عيسى عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله
فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت
وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات
الانبياء عليهم السلام ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة
معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة
فانزل عليه القران الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة
والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب
والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا
في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك
وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة
وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء
من الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة
والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه

التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه
الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى
القيمة بينة الحجة لكل امة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل
وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر
ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبره فيتجدد الايمان
ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين
والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل
عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت
بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته
تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا
حدثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد
عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من الانبياء نبي الا اعطي من الآيات ما مثله امن عليه البشر وانما كان
الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة
هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى
وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا
عليه السلام الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل
فيه ولا التحيل عليه ولا التشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام

المعاندون لها باشياء وطمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء
السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل
فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه عمل فكان
من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر
ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه
والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض
الجفن عليه ويغضي ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان
المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي
اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين
فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو
من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال
وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز
والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته
وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي
الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة
في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا
ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل
علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلائق المئين من السنين بكلام

من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان يمنع الله القيام
عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم
الله عن القيام لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق
وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الانبياء حتى
احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها
وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم
من القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من
الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري
ذلك في العجل فعبدوه بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم في ذلك من الآيات الظاهرة البينة
للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي
هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع
وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من
قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول
بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به
وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم
وقتلوا آباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب

منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك
وظهورها وبالله استعين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين تم النصف الاول من الشفاء

بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم
ونفعنا الله ببركته

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة
ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه
في سنته وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة
عليه والتسليم وزيارة قبره عليه السلام الباب الاول في فرض
الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وشرف وكرم اذا تقرر
بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه
فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي
انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله
ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية فالايمان
بالنبي محمد عليه السلام واجب متعين لا يتم الايمان الا به ولا يصح
اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا

للكافرين سعيراً حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الامام
ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه الجلودي ثنا
ابن سفيان ثنا ابو الحسين ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع
ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا
ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله والايمان به عليه السلام هو تصديق نبوته
ورسالة الله تعالى له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة
تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق
بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له
كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله
وقد زاده وضوحاً في حديث جبريل عليه السلام اذ قال اخبرني عن الاسلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله
وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان
والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما
الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو

النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه
فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس
في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن
معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم
الاسلام باظهار شهادة اللسان وهذا في احكام الدنيا المتعلقة
بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة
الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث
عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال
هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في
حديث جبريل عليه السلام الشهادة من الاسلام والتصديق
من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما ان يصدق
بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه
فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به وراه بعضهم
مؤمناً مستوجباً للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان
في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن
بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه
الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم

ينطق بجملة ولا استشهد في عمره ولا مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضاً
فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص
بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقد شهادة اذ الشهادة
انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق
مع المهلة الابها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام
في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي
ممتنع على مجرد التصديق ولا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل
او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد
ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض
التأليف وفيما ذكرناه غنية في ما قصدنا ان شاء الله تعالى فصل واما وجوب
طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته
لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله
وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول وقال واطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال ومن يطع الرسول فقد
اطاع الله وقال وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا
وقال ومن يطع الله والرسول الاية وقال وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته
ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب
امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول

في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من
رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه ونهاهم عن معصيته وقالوا
من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد
الله عن شرايع الاسلام فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وقال
السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل
اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول في ما بلغكم ويقال اطيعوا الله
بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن
عتاب بقراءتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف ثنا
محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبدان انا عبد الله
انا يونس عن الزهري قال اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع
ابا هريرة رضي الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع
اميري فقد اطاعني ومن عصا اميري فقد عصاني فطاعة الرسول
من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له
وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم
التمني وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر
فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه عليه
السلام كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا يا رسول الله ومن يابى

قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر
الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما
فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء
فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة
منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل
من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من
الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة
وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب
الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي
محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد
فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء
بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم
واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر الاية وقال محمد بن علي الترمذي
الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته
في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب

للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم
قال بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء
باتباعه لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية
الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه
نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض
عليه وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب
الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية
وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن
ابناء الله واحباؤه ونحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله
فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا
طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته
لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم
برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما
قال القائل شعر تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس
بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويقال
محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته
الجميل له ويكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى
الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتي بعد

فى ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى وقوته حدثنا ابو اسحق
ابراهيم بن جعفر الفقيه حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا
ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراتى عليه قالا حدثنا حاتم بن
محمد ثنا ابو حفص الجهنى ثنا ابو بكر الاجرى ثنا ابراهيم بن موسى الجوزى
ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن
معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر الكلاعى عن العرباض بن
سارية فى حديثه فى موعظة النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتى
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وزاد فى حديث
جابر بمعناه وكل ضلالة فى النار وفى حديث ابى رافع عنه عليه السلام
لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امرى مما امرت به
او نهيت عنه فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه وفى
حديث عائشة رضى الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم
فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشئ اصنعه فوالله
انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروى عنه عليه السلام انه قال
القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثى وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران
وحديثى خسر الدنيا والاخرة امرت امتى ان ياخذوا بقولى ويطيعوا
امرى ويتبعوا سنتى فمن رضى بقولى فقد رضى بالقران قال
الله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه السلام من
اقتدى بى فهو منى ومن رغب عن سنتى فليس منى وعن ابى هريرة
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن
الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبى صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة
فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة
وعن الحسن بن ابى الحسن قال عليه السلام عمل قليل فى سنة خير
من عمل كثير فى بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة
بالسنة تمسك بها وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال المتمسك بسنتى عند فساد امتى له اجر مائة شهيد وقال
عليه السلام ان بنى اسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان
امتى تفترق على ثلاث وسبعين كلها فى النار الا واحدة قالوا ومن هم
يا رسول الله قال الذى انا عليه اليوم واصحابى وعن انس رضى الله
عنه قال عليه السلام من احيى سنتى فقد احيانى ومن احيانى كان
معى وعن عمرو بن عوف المزنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن
الحارث من احيى سنة من سنتى قد اميتت بعدى فان له من الاجر
مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة
ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص

ذلك من او زاد الناس شيئاً **فصل** واما ما ورد عن السلف والأئمة
من اتباع سنة والاقتداء بهديه وسيرته **حدثنا** الشيخ ابو عمران
موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعاً عليه قال ثنا
ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن
مسرة قال ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب
عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما **فقال**
يا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر في القرآن
ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمداً ولا نعلم
شيئاً فانما نفعل كما رأيناه يفعل **وقال** عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما
سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر من بعده سنناً الاخذ
تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد
تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد
ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله
ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيراً **وقال** الحسن بن ابي الحسن
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة **وقال** ابن شهاب بلغنا عن
رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الى عماله بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال
ان اناساً يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب
السنن اعلم بكتاب الله **وفي** خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال

اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع **وعن** علي رضي
الله عنه حين قرن فقال له عثمان رضي الله عنه ترى اني انهى الناس
عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقول احد من الناس **وعنه** الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل
بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت **وكان** ابن مسعود
رضي الله عنه يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة **وقال**
ابن عمر رضي الله عنهما صلوة السفر ركعتان من خالف السنة كفر **وقال**
ابي بن كعب رضي الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من
عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه
فيعذبه الله ابداً وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه
كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في
خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهاداً واقتصاداً
ان يكون على منهاج مناهج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنهما الى عمر يخبره بحال بلده وكثرة لصوصهم هل يأخذهم بالظنة او يحملهم
على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر رضي الله عنه خذهم بالبينة
وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله **وعن** عطاء في قوله
تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي رحمه الله ليس في سنة
رسول الله الا اتباعها وقال عمر رضي الله عنه ونظر الى الحجر الاسود
والله انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي وروي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه
قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال
سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم
في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال
وزيد وقد كان على خلق عظيم وروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
كان خلقه القران وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه هو
الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل رحمه الله
قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك
الليلة قائلا يقول لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك
السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل فصل ومخالفة
امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب
قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير

سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر
وعبد الله بن عتاب بقراءتي عليهما قالا ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا
ابو الحسن القابسي ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا احمد بن
ابي سليمان ثنا ابن سحنون بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا مالك عن العلاء
ابن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله هو
صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه
فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلموا الا
هلموا الا هلموا فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا
وروي انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رغب
عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروي
ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم
متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما
حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء
بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم
الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم الاية وقال عليه السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثانى فى لزوم محبته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب
فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع الله تعالى
من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله فتربصوا حتى يأتى الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم
ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو على الغسانى الحافظ فيما اجازنيه
وهو مما قرأته على غير واحد قال ثنا سراج بن عبد الله القاضى ثنا ابو محمد
الاصيلى ثنا المروزى ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا
يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس رضى
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابى هريرة رضى
الله عنه نحوه وعن انس رضى الله عنه عنه عليه السلام ثلاث من
كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف
فى النار وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال للنبى صلى الله عليه
وسلم لانت احب الى من كل شئ الا نفسى التى بين جنبى فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال
عمر والذى انزل عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى

فقال

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية
الرسول عليه فى جميع الاحوال ويرى نفسه فى ملكه عليه السلام
لا يذوق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من نفسه

فصل فى ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا
ابو الحسن على بن خلف ثنا ابو زيد المروزى ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا ابى عن شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن
ابى الجعد عن انس رضى الله عنه ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها
من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكنى احب الله ورسوله قال
انت مع من احببت وعن صفوان ابن قدامة هاجرت الى النبى
صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك ابايعك
فناولنى يده فقلت يا رسول الله انى احبك قال المرء مع من احب وروى
هذا اللفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى
وانس رضى الله عنهم وعن ابى ذر رضى الله عنه بمعناه وعن على بن
ابى طالب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن
وحسين فقال من احبنى واحب هذين واباهما وامهما كان معى
فى درجتى يوم القيمة وروى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لانت احب الى من اهلى ومالى وانى لاذكرك

فما اصبر حتى اجئ فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت
انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله
تعا ومن يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به
فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر اليه لا يطرق فقال ما بالك قال بابي انت وامي اتمتع بالنظر
اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي
حديث انس رضي الله عنه قال من احبني كان معي في الجنة فصل فيما روي
عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا
القاضي الشهيد ثنا العذري ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا
قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد الناس لي حبا ناس
يكونون بعدي يود احدهم لو راني باهله وماله ومثله عن ابي ذر
وقد تقدم حديث عمر رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت
احب الي من نفسي وما تقدم من الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص
رضي الله عنه ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر
من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار
يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم

فعجل

فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر رضي الله
عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي
طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان
اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قال للعباس
ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها
واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين
قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل
علي بن ابي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا واباءنا وامهاتنا
ومن الماء البارد على الظماء وعن زيد بن اسلم رضي الله عنه قال
خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول
شعر على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما
بكا بالاسحار يا ليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار
تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي
ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله فقيل له اذكر احب
الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر
بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا

وحزبه ويروى ان امرأة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة
زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك
بالله الله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك يضرب عنقه
وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي
هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت
من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم
حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت
الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر رضي الله عنهما على ابن الزبير بعد
قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب شيئا
اثره واثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق
في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به
واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه
والتادب بادابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا
قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض
عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوءوا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة

مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط
العباد في رضى الله حدثنا القاضي ابو علي الحافظ رحمه الله ثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي
ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن
عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب
قال قال انس بن مالك رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي
يا بني وذلك من سنتي ومن احب سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة
فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض
هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام
للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به وقال صلى الله عليه
وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله
عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه
فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة
انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وقد تقدم قول بلال ومثله
قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته
مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخضوع والانكسار
مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك

كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من
يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو بسببه من ال بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة
من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحبه وقد
قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم انى احبهما فاحبهما وفي
رواية في الحسن واحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن
احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله
وفي رواية في الحسن اللهم انى احبه فاحب من يحبه وقال الله الله في
اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
يوشك ان يأخذه وقال في فاطمة انها بضعة منى يغضبني ما اغضبها وقال
لعايشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال اية الايمان حب الانصار
واية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما من احب العرب فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شئ
يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال
انس رضى الله عنه حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالى
القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله
ابن عباس وابن جعفر رضى الله عنهم اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم
طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر

يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه
وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة
من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر
يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم وهؤلاء اصحابه عليه السلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا
اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك
برأسه يعنى اباه ومنها ان يحب القران الذي اتى به عليه السلام
وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عايشة وكان خلقه القران
وحبه للقران تلاوته والعمل به وتفهمه وهو يحب سنته ويقف عند
حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله تعالى حب القران
وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة
حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة
بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود
رضى الله عنه لا يسأل احد عن نفسه الا القران فان كان يحب القران
فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته
على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم كما كان عليه السلام
بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره
الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري رضى الله

عنه ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي والجبل
الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال قال رجل للنبي
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال اني
والله احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو
حديث ابي سعيد بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها
اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم
في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال
فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كانه التفت الى قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله الاية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب
عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب
وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم
المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما يكره وقال اخر
المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات
المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة هو الميل الى ما يوافق الانسان وتكون
موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة
والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها
او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة
الصالحين والعلماء واهل المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة
فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب

بقوم

بقوم والتشيع من امة في اخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان
وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من
جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن
اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه
السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة
للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد
قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه
وانعامه على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم
ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار
وانه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم
خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر
فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم
من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم
والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد
استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمنا
في صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضة الاحسان وعمومه
الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا

او استنقذ من هلكة او مضرة من التأذي بها قليل منقطع فمن منحه
ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان
يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او قاص
بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على
غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه
في صفته عليه السلام من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا
عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم

فصل في وجوب مناصحته عليه السلام

قال الله تعالى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل
والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا
مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه
ثنا حسين بن محمد ثنا يوسف بن عبد الله بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر التمار
ثنا ابو داود ثنا احمد بن يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن ابي صالح عن
عطاء بن يزيد عن تميم الداري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم
قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة
قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير
للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة

الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن
ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ
من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج
نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله
وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص
في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته
والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل
الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة
له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته
ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها
ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابراهيم
اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به
والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى
كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات
القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر
الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته
ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه
والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال تعالى وينصرون الله ورسوله

الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة
المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه فى شريعته ومحبة آل بيته
واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه
والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر
على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من
علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيرى ان عمرو بن الليث
احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤى فى المنام
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى فقيل له بماذا قال صعدت ذروة
جبل يوما فاشرفت على جنودى فاعجبنى كثرتهم فتمنيت انى حضرت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لى ذلك
وغفر لى واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم فى الحق ومعونتهم فيه وامرهم به
وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من
امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم
عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم فى دينهم
ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد
محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم الباب
الثالث فى تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
الاية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله

ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الثلاث
الايات فقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن
عباس رضى الله عنهما تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا
فى تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبرى تعينونه وقرئ
تعززوه بزائين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء
الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب
قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له
وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان
يفتاتوا بشئ فى ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به
الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدى والثورى
ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال
الماوردى اتقوه يعنى فى التقدم وقال السلمى اتقوا الله فى اهمال حقه
وتضييع حرمته ان الله سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت
فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته
وقيل كما ينادى بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد المكى اى لا تسابقوه
بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض
ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول
الله يا نبى الله وهذا كقوله فى الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول

بينكم كدعاء بعضكم بعضاً على احد التأويلين قال غيره لا تخاطبوه الا
مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم
منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله
عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم
بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين
ابي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما
حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب
النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع
صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط
عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون
هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل
الجنة فقتل يوم اليمامة وروى ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال يا رسول
الله والله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه
كاخي السرار وما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية
حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون في غير وفد بني
تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال رضي الله عنه بينا النبي

صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري
يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت
عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيماً
للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلاً له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا
عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان
يرعى على كل حال وقيل بل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه
وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعاً للذريعة ومنعاً للتشبه بهم
في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا **فصل في عادة الصحابة في
تعظيمهم عليه السلام وتوقيره واجلاله** حدثنا القاضي ابو علي الصدفي
وابو بحر الاسدي بسماعي عليهما في اخرين قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا
احمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن
المثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا ثنا الضحاك بن
مخلد انا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري
قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثاً طويلاً فيه عن عمرو قال وما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه
وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالاً له ولو سئلت ان
اصفه ما اطقت لاني لم اكن املا عيني منه وروى الترمذي عن
انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على

اصحابه وهم جلوس من المهاجرين والانصار فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع
احد منهم بصره اليه الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فانهما كانا ينظران
اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن
شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤسهم
الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه
لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق
بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم
ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره
واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما
رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر
في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في
اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا
اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس رضي الله عنه لقد
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه
فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش
لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم
في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله

عليه وسلم وفي حديث طلحة رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يها
بونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق
وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب
لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاؤخره
سنين من هيبته صلى الله عليه وسلم فصل واعلم ان حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته
وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه
وسيرته ومعاملة اهله آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال
ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع
ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان
يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين
رضي الله عنهم اجمعين حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري
وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا
ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال ثنا ابو الحسن علي بن فهر ثنا ابو بكر

بن محمد بن احمد بن الفرج ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب قال ثنا
يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل ثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير
المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك
يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى عز وجل ادب
قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما
فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر
وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وادعو فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به
فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول الاية قال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني
ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا
اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما
رايت منه ما رايت اجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب
بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني
حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم
ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد

القراء لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد
كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث
خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما
لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان
عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه
كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري
وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت اتى صفوان بن سليم وكان من
المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال
يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة انه كان اذا
سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له
لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين
ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان
عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم

امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول
انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو الفضل بن
خيرون ثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا
علي بن مبشر ثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما
سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى
على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت
العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون
ذا او ما قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت
عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري
قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال
اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله
عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم
تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده
حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن

انس رضي الله عنه لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال
مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس رضي الله عنه اذا حدث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث
وحدث قال مصعب فسئل عن ذلك وقال انه حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت
اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل
فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل
وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه
رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال
يتبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا
قال وكان يكره ان يحدث في الطريق ام وهو قائم او مستعجل وقال
احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن
مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان
الاعمش اذا احدث ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث
الا على طهارة ولا يقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء

قال عبد الله ابن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب
ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس
قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا قال نعم لدغتني عقرب
ست عشرة مرة وانا صابر في جميع ذلك وانما صبرت اجلالا لحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك
الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل
من ان تسئل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي
وسئاله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه
فقيل له انه قاض فقال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن
الغادي سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا
ثم اشفق له فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني
سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث
لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرا
احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة
وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم فصل ومن
توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر اله وذريته وامهات المؤمنين
ازواجه كما حض عليه عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله
عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم

تطهيرا وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل
من كتابه وكتبت من اصله ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني
ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي ثنا حاتم هو ابن
عقيل ثنا يحيى هو ابن اسمعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن
سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل
بيته قال ال علي وال جعفر وال عقيل وال عباس وقال عليه السلام
اني تارك فيكم ما ان اخذتم تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل
بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة ال
محمد براءة من النار وحب ال محمد جواز على الصراط والولاية لال
محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم
من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم
بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الاية وذلك كان في بيت ام سلمة دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فجللهم بكساء
وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما نزلت
اية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة
رضي الله عنهم وقال اللهم هؤلاء اهلي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم

تطهيرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن
ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل
قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن اذى عمي فقد اذاني
وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم
وجللهم بملاءته وقال اللهم هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط
البيت آمين آمين وكان يأخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم
اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل
بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب
الله من احب حسنا وحسينا وقال من احبني واحب هذين واشار
الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وقال
صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا
ولا تقدموها وقال عليه السلام لام سلمة رضي الله عنها لا تؤذيني
في عائشة رضي الله عنها وروى عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال
رايت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي
شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروى عن عبد الله بن
حسن بن حسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال اتيت عمر بن

عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي
او اكتب الي فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي
قال صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها
فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء
فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا
وراى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له
هو محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض
وقال لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي
دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى
اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها
على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما
فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة
بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله
ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة
يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام

عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه الموعاب لشبهه
صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله لما
ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه
دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم انى قد جعلت ضاربى فى حل
فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبى صلى الله عليه وسلم
فاستحى منه ان يدخل بعض آله النار بسببى وقيل ان المنصور اقاده
من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن
جسمى الا وقد جعلته فى حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو بكر بن عياش لو اتانى ابو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم لبدات
بحاجة على قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر
من السماء الى الارض احب الى من ان اقدمه عليهما فقيل لابن عباس
رضى الله عنهما ماتت فلانة لبعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم
فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واى اية اعظم من ذهاب
ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما
يزوران ام ايمن مولاة النبى صلى الله عليه وسلم ويقولان كان النبى
صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبى صلى الله
عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفى صلى الله عليه وسلم
وفدت على ابى بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك فصل ومن توقيره وبره

توقير اصحابه عليه السلام وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم
وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم
ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة
الرواة كالرافضة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة فى احد
منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن
احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك
ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل يذكر حسناتهم وفضائلهم
وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر
اصحابى فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة وقال والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار الاية وقال لقد رضى الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا
القاضى ابو على ثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا ثنا ابو يعلى ثنا ابو على
السنجى ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذى ثنا الحسن ابن الصباح ثنا سفيان
بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن حذيفة
رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين
من بعدى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وقال اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل اصحابى كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال

صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن
آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقال لا تسبوا
اصحابي فلو انفق احدكم كل يوم وفي رواية مثل احد ذهباً ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا
وقال في حديث جابر رضي الله عنه ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين
سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان
وعلياً رضي الله عنهم فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال
من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال مالك بن
انس رحمه الله وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين
حق ونزع بآية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظه
اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن
المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن
احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله
ومن احب علياً فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احداً منهم فهو مبتدع
مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى

يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً وفي حديث خالد بن سعيد رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس اني راض عن ابي
بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان
وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم
ذلك ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس
احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة
فانها مظلمة لا توهب في القيمة غداً وقال رجل للمعافى بن عمران اين
عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه
على وحي الله واتى النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه
وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله تعالى وقال عليه السلام في الانصار
اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي
واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن
لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه وعنه
عليه السلام من حفظني في اصحابي كنت له حافظاً يوم القيمة وقال
من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرده
على الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب
الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل
الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر

النبي صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وموالاتهم ومعادات من عاداهم وروى
عن كعب رضي الله عنه ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له
يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر
اصحابه ولم يعزر اوامره فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع
اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده
وما لمسه عليه السلام او عرف به وروى عن صفية بنت نجدة قالت
كان لابي محذورة قصة في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها اصابت
الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن عمر رضي الله عنهما واضعا يده على مقعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وكانت في
قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما
تضمنته من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها ويقع في ايدي المشركين
ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحي
من الله ان اطاء تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي
عنه انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك
منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن

فضلويه الزاهد وكان من الغزاة والرماة انه قال ما مسست القوس
بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس
بيده وقد افتى مالك رحمه الله فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين
درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة
دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه
قال عليه السلام في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان
رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته
الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف
على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحكيت ان ابا الفضل الجوهري
لما ورد المدينة زايرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا شعر
ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لنا نزلنا عن
الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا وحكي عن بعض المريدين
انه لما اشرف على مدينة الرسول عليه السلام انشاء يقول متمثلا
شعر رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الاوهام واذا المطي
بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام قربننا من خير من وطئ
الثرى فلها علينا حرمة وذمام وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا
فقيل له في ذلك فقال العبد الابق ياتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت

اذا مشى على رأسى ما مشيت على قدمى قال القاضى ابو الفضل رحمه
الله تعالى وجدير لمواطن عمرت بالوحى والتنزيل وتردد فيها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح
واشتملت تربتها على جسد سيد المرسلين وانتشر عنها من دين الله
وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد
الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين
ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث
انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض
مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل
ربوعها وجدراتها يا دار خير المرسلين ومن به هدى الانام وخص بالآيات
عندى لاجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات وعلى عهد ان ملأت
محاجرى من تلكم الجدرات والعرصات لاعفرن مصون شيبى بينها من
كثرة التقبيل والرشفات لولا العوارى والاعادى زرتها ابدا ولو سحبا
على الوجنات لكن ساهدى من حفيل تحيتى لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات وتخصه بزواكى
الصلوات ونوامى التسليم والبركات

الباب الرابع فى حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما الاية قال ابن
عباس رضى الله عنهما معناه ان الله وملائكته يباركون على النبى

وقيل ان الله يترحم على النبى والملائكة يدعون له قال المبرد واصل
الصلاة الترحم فهى من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء
للرحمة من الله وقد ورد فى الحديث صفة صلاة الملائكة على من
جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء قال
بكر القشيرى الصلاة من الله تعالى لمن دون النبى صلى الله عليه وسلم
رحمة وللنبى صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال
ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة
الدعاء قال القاضى ابو الفضل رحمه الله وقد فرق النبى صلى الله عليه
وسلم فى حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة
فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذى امر الله تعالى به عباده فقال
القاضى ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبى صلى الله عليه وسلم
فامر الله سبحانه اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان
تسلموا على النبى صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره
وفى معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك
وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثانى اى السلام
على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم
الله الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم ان الصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة
عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر
الطبرى ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما
زاد على مرة والواجب منه الذى يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض
مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من
سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضى ابو الحسن بن القصار
المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب فى الجملة على الانسان وفرض عليه
ان يأتى بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك قال القاضى ابو بكر بن
بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك
لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضى
ابو محمد بن نصر الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم واجبة فى الجملة قال
القاضى ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل
العلم الى ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فرض فى الجملة بعقد
الايمان لا تتعين فى الصلاة وان من صلى عليه مرة واحدة فى عمره سقط
عنه الفرض وقال اصحاب الشافعى الفرض منها الذى امر الله به
ورسوله عليه السلام هو فى الصلاة وقالوا واما فى غيرها فلا خلاف
انها غير واجبة واما فى الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبرى والطحاوى
وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد غير واجبة وشذ الشافعى فى ذلك

فقال

فقال من لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل
السلام فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له فى ذلك
القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ فى انكار هذه المسألة لمخالفته فيها
من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبرى والقشيرى
وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلى احد صلاة
الا صلى فيها على النبى صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك فصلاته
مجزئة فى مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثورى
واهل الكوفة من اصحاب الراى وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم
وحكى عن مالك وسفيان انها فى التشهد الاخير مستحبة وان تاركها
فى التشهد مسىء وشذ الشافعى فاوجب على تاركها فى الصلاة
الاعادة واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان
وحكى ابو محمد بن ابى زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة على النبى
صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة
وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
ان محمد بن المواز يراها فريضة فى الصلاة كقول الشافعى وحكى
ابو يعلى العبدى المالكى عن المذهب فيها ثلاثة اقوال الوجوب والسنة
والندب وقد خالف الخطابى وغيره من اصحاب الشافعى وغيره الشافعى
فى هذه المسألة قال الخطابى وليست بواجبة فى الصلاة وهو قول
جماعة الفقهاء الا الشافعى ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها

ليست من فروض فرائض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي
ولجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسألة جداً وهذا تشهد
ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله
عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل
من روى التشهد على النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس
وجابر وابن عمر وابن مسعود وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري
وعبد الله ابن الزبير رضي الله عنهم لم يذكروا فيه صلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهم كان النبي
صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه
عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر رضي الله عنه يعلمنا التشهد على
المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضاً على المنبر عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار
معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم
رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل
بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن
علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم
ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم وراويه عن ابي جعفر جابر الجعفي
وهو ضعيف فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام

على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة
كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي
رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا الامام ابو القاسم البلخي ثنا الفارسي
عن ابي القسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ ثنا محمود بن
غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرى ثنا حيوة بن شريح حدثني
ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة
بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره
اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا
السند بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
الدعاء والصلاة معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله
منه شيء حتى يصلى في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي
ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن
مسعود رضي الله عنه اذا اراد احدكم ان يسئل الله شيئاً فليبدأ
بحمده والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ليسأل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملاء

قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شرابه شربه او الوضوء
توضاء والا اهراقه ولكن اجعلونى فى اول الدعاء واوسطه وآخره
وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق
اركانه قوى وان وافق اجنحته طار فى السماء وان وافق مواقيته
فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة
والخشوع وتعلق القلب بالله تعالى وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق
ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
وفى الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد وفى حديث اخر كل دعاء
محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء وفى دعاء
ابن عباس رضى الله عنهما الذى رواه عنه حنش فقال فى اخره واستجب
دعائى ثم يبدا بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ان تصلى على محمد
عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين
امين ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابته
او عند الاذان وقد قال عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
على وكره ابن حبيب ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون
الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى الا على طريق الاحتساب وطلب
الثواب وقال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة
والعطاس ولا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله
صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغى ان

تجعل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى
النسائى عن اوس بن اوس عن النبى صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار
من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام عليه
دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغى لمن دخل المسجد ان
يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك
عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى
ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك
فضلك وقال عمرو بن دينار فى قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم
قال فان لم يكن فى البيت احد فقل السلام على النبى ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل
البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس رضى الله عنهما المراد
بالبيوت هنا المساجد وقال النخعى اذا لم يكن فى المسجد احد فقل السلام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا لم يكن فى البيت احد فقل السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول
السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل المسجد واذا خرج ولم يذكر الصلاة
واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة رضى الله عنها بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لما ذكره بحديث فاطمة رضى الله عنها بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا

دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة
وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن
مواطن الصلاة عليه ايضاً الصلاة على الجنائز وذكر عن ابي
امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة
ولم ينكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الرسائل وما يكتب
بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني
هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضاً به
الكتب وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم تشهد الصلاة قال حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ
الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني بنت كريمة بنت محمد قالت ثنا
ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش
عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض
هذا احد مواطن السلام عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك
عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد
ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام

قال

وقال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهم انهما
كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب
اهل العلم ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء
والارض من الملائكة ومن بني آدم والجن قال مالك رحمه الله
في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على
النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم **فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم** قال حدثنا ابو اسحق
ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي ابو الاصبغ عيسى
بن سهل ثنا ابو عبد الله بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد وغيره ثنا
ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن عبد الله ابن ابي بكر بن
حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي
انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على
محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك
رحمه الله عن ابي مسعود رضي الله عنه الانصاري قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت
على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي
رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم

وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن
عقبة بن عمرو رضي الله عنه في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل
محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي
الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا ثنا ابو عبد الله بن
سعدون الفقيه ثنا ابو بكر المطوعي ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن
ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن
المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه
الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبرئيل وقال
هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على
محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت
فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل
بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة

الانصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال
صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي
كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات
وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك
ورأفة تحيتك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم
لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع
بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك
حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس
آلاء الله تصل باهله واسبابه به هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم وانهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات
الاسلام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في
عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات
من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول بعد النهل اللهم
اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره
واجزه من ابتعاثك له مقبول الشفاعة ومرضي المقالة ذا منطق
عدل وخطة فضل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية لبيك

اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين
والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء
يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام
المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك
السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكأس
الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده
وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه
ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد
الكبرى وارفع درجته العليا واته سؤله في الاخرة والاولى كما اتيت
ابراهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه
اللهم اعط محمدا افضل ما سألك لنفسه واعط محمدا افضل ما سألك
له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسئول له الى يوم القيمة

وعن ابن مسعود رضي الله عنهما انه كان يقول اذا صليتم على
النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون
لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك
وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وما يؤثر في
تطويل الصلوة وتكثير الثناء عن اهل البيت وغيرهم كثير وقوله
والسلام كما قد علمتم هو كما علمتم في التشهد من قوله السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام على نبي الله السلام على انبياء
الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله
السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد
اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي
ولوالدي وما ولد وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث
عن علي رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة وفي
حديث الصلوة عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت

الله

في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن
عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة
والبركة التي يختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر
ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا
وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ولم يأت هذا في حديث
صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له

حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه
ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو بكر ابن معاوية ثنا النسائي
انبانا سويد بن نصر انبانا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني
كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد
الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى
الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا
لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة
حلت عليه شفاعتي وروى انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية
وكتب له له عشر حسنات وعن انس رضي الله عنه عنه عليه السلام

ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا
ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه عنه عليه السلام قال لقيت جبريل فقال اني ابشرك
ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت
عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان
وعبيد الله بن ابي طلحة رضي الله عنهم وعن زيد بن الحباب سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل
المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود
رضي الله عنه عنه عليه السلام اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم
علي صلاة وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام من
صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك
الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقل عبد
من ذلك او ليكثر وعن ابي بن كعب رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس
اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال
ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك
من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت

وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال
اذاً تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة رضى الله عنه دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته مالم اره قط فسالته
فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفاً فاتاني ببشارة من ربي ان الله
تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا
صلى الله وملائكته بها عشراً وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة
التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة
وعن سعد بن ابي وقاص رضى الله عنه من قال حين يسمع المؤذن وانا
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله
رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالاسلام ديناً غفر له وروى
ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم على عشراً فكانما اعتق
رقبة وفي بعض الاثار ليردن على اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم
على وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم صلاة
على وعن ابي بكر الصديق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق
للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي
الشهيد ابو على رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي

قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن
ابراهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن ابن اسحق
عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
على ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف
رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن
واظنه قال او احدهما وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم
صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين
فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني
فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار
فابعده الله قل آمين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه
فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات
مثل ذلك وعن على بن ابي طالب رضى الله عنه عنه عليه السلام
انه قال البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل على وعن جعفر بن محمد
رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل على اخطئ به طريق الجنة وعن على بن ابي طالب رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخل من ذكرت
عنده فلم يصل على وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلساً ثم تفرقوا قبل جلسوا مجلساً

ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلون على النبي صلى الله عليه
وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم
وعن ابي هريرة رضي الله عنه من نسي الصلاة علي نسي طريق
الجنة وعن قتادة رضي الله عنه عنه عليه السلام من الجفاء
ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر رضي الله عنه عنه
عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون
فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة
لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم
قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزاء
عنه ما كان في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام

حدثنا القاضي ابو عبد
الله التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن
ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقري ثنا حيوة عن ابي
صخر حميد بن زياد عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي
الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة
عن ابي هريرة رضي الله عنه تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان لله ملائكة سياحين في الارض
يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر رضي
الله عنهم اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم
في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته
علي حين يفرغ منها وعن الحسن رضي الله عنه عنه عليه السلام
حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ليس احد من امة محمد عليه السلام يسلم عليه ويصلي
عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله
عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث ما كنتم
فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس رضي الله عنه
اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي
وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم
فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه
سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب قال بلغنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي من الصلاة في الليلة
الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض

لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلى على الا حملها ملك حتى
يؤديها الى ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا **فصل**
فى الاختلاف فى الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا
عليهم السلام قال القاضى ابو الفضل رحمه الله عامة اهل العلم متفقون
على جواز الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس
رضى الله عنهما انه لا يجوز الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم وروى
عنه لا تنبغى الصلاة على احد الا على النبيين وقال سفيان يكره ان
يصلى الا على نبى ووجدت بخط بعض شيوخنا وعن مالك رحمه الله
انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد عليه السلام وهذا
غير معروف من مذهبه وقد قال مالك فى المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره
الصلاة على غير الانبياء وما ينبغى لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن
يحيى لست آخذ بقوله ولا باس بالصلاة على الانبياء كلهم عليهم وعلى غيرهم
واحتج واحتجوا بحديث ابن عمر رضى الله عنهما وبما جاء فى حديث تعليم النبى
صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى آله وقد وجدت
معلقا عن ابى عمران الفاسى وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما كراهة
الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم تكن تستعمل
فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله
بعثهم كما بعثنى قالوا والاسانيد عن ابن عباس رضى الله عنهما لينة

والصلاة فى لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق
حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذى يصلى عليكم
وملائكته الاية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها وصل عليهم الاية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابى اوفى وكان اذا اتاه
قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفى حديث الصلاة اللهم
صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفى آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه
وقيل امته وقيل آل بيته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة
وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة
وفى رواية انس رضى الله عنه سئل النبى صلى الله عليه وسلم من آل
محمد فقال كل تقى ويجىء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد نفسه فانه
كان يقول فى صلاته على النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتى
بالنفل لان الفرض الذى امره الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا
مثل قوله عليه السلام لقد اوتى مزمارا من مزامير آل داود يريد
من مزامير داود وفى حديث ابى حميد الساعدى فى الصلاة اللهم
صل على محمد وازواجه وذريته وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما انه
كان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر ذكره مالك
فى الموطاء من رواية يحيى بن يحيى الاندلسى والصحيح من رواية غيره

ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وروى ابن وهب عن انس بن
مالك رضي الله عنهم كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك
على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون
بالنهار قال القاضي والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله
مالك وسفيان رحمهما الله وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما و
اختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند
ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يختص الله
تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره
كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة
والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا
تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال
تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال والذين
اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر
الاول كما قال ابو عمران وانما احدثه الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة
فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما
التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الال والازواج مع النبي صلى الله
عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي
على من صلى عليه مجرى الدعاء والرحمة والمواجهة ليس فيها معنى

التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا
لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر
الاسفرايني من شيوخنا فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام
وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم عليه ويدعو وزيارة
قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب
فيها وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم
من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة
محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث
اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك
ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى
ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله
زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها ولا تقولوا هجرا وقوله من زار قبري فقد اطلق
اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور
وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس
هذا عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم
يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى قال ابو عمران انما كره مالك

ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال
الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه
وسلم مع الناس بهذا اللفظ واحب ان يخص ان يقال سلمنا على
النبي صلى الله عليه وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس
وواجب شد الرحال المطي الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب
هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة
مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا
النبي لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد
بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى
اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة
وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل
من شان من حج بيت الله الحرام المرور بالمدينة والقصد الى
الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية
روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه
والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل عليه السلام بالوحي
عليه فيه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار
بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول
بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية
ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد

من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان
ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على
عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال الي اليك حاجة اذا اتيت المدينة
سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرأه مني السلام قال غيره
وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك
رضي الله عنه اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى
ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف
وقال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه
وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم
ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي وقال ابن ابي مليكة من
احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذي في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع رحمه الله كان
ابن عمر رضي الله عنهما يسلم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم رايته
مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم ينصرف
ورئي واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم
وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والعتبي كان اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم

ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي
انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي
بكر وعمر رضي الله عنهما قال مالك في رواية ابن وهب يقول
المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط
ويسلم على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما قال القاضي ابو الوليد الباجي
وعندي انه يدعو للنبي بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما جاء في حديث
ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول
بسم الله وسلام على رسول الله عليه الصلاة والسلام السلام
علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد
الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك
بالقبر تحمد الله فيهما وتسئله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان
كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة افضل
وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض
الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
وتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر
من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع
ان تأتي قباء وقبور الشهداء وقال مالك رحمه الله في كتاب محمد

ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة
وفي ما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر
وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة رضي
الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقولي
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل
على النبي صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل وفيه ويقول
اذا خرج اللهم اني اسئلك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني
من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون
اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا و
على الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن
فاطمة رضي الله عنها ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل
المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة رضي
عنها قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول
الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن

ابي هريرة رضى الله عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس
يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر
وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس لمن قدم من سفر او خرج
الى سفر ان يقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه
ويدعو له ولابي بكر وعمر رضى الله عنهما فقيل له فان ناسا من اهل
المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم
مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين
او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن
احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة
الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم
كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال
ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر
فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء
لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها
من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال
لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي في من وقف
بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ

بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب
مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود
المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء
احب الي من التنفل في البيوت فصل في ما يلزم من دخل مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل
الصلوة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة
ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم
فيه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي
هذا وهو قول سعيد ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك
بن انس وغيرهم رضى الله عنهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه
مسجد قبا حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا
ابن محمد الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو
بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري
عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام و
مسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة
والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد وعن
عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم

وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله
سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه صوتا فى المسجد فدعا بصاحبه
فقال ممن انت قال رجل من ثقيف فقال لو كنت من هاتين
القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة
لا ينبغى لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشئ من الاذى
وان ينزه عما يكره قال القاضى حكى ذلك كله القاضى اسمعيل
فى مبسوطه فى باب فضل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم
متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضى اسمعيل وقال
محمد بن مسلمة ويكره فى مسجد الرسول عليه السلام الجهر على المصلين
فى ما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت
قد كره رفع الصوت بالتلبية فى مساجد الجماعات الا المسجد الحرام
ومسجد منى وقال ابو هريرة رضى الله عنه عنه عليه السلام صلاة
فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال
القاضى اختلف الناس فى معنى هذا الاستثناء على اختلافهم فى المفاضلة
بين مكة والمدينة فذهب مالك فى رواية اشهب عنه وقاله ابن
نافع صاحبه وجماعة من اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة
فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فى سائر
المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجد النبى
صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا

بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من
مائة صلاة فى ما سواه فتاتى فضيلة مسجد الرسول عليه السلام
عليه بتسع مائة وعلى غيره بالف وهذا مبنى على تفضيل المدينة
على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر
المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول
عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجى
عن الشافعى وحملوا الاستثناء فى الحديث المتقدم على ظاهره وان
الصلاة فى المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير
عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابى هريرة رضى الله عنه وفيه
وصلاة فى المسجد الحرام افضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة
صلاة وروى قتادة رضى الله عنه مثله فتاتى فضل الصلاة
فى المسجد الحرام على هذا على الصلاة فى سائر المساجد بمائة الف
ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضى ابو
الوليد الباجى الذى يقتضيه الحديث مخالفة حكم مسجد مكة
لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوى
ان هذا التفضيل انما هو فى صلاة الفرض وذهب مطرف
من اصحابنا الى ان ذلك فى النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة
ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان
بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين بيتى

ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي
سعيد رضي الله عنهما وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث اخر
منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان
المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روى ما يبينه بين
حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن
اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري
واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها
خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي
قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني
ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور
عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب
منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين
احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك
من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني ان تلك البقعة
قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن
عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر
على لأوائها وشدتها احد من امتي الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم
القيمة وقال في من تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون
وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد

من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى عنه
عليه السلام من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه
الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث
من الامنين يوم القيمة وعن ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله
عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع
لمن يموت بها وفي حديث اخر يبعث يوم القيمة من الامنين
وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الى قوله آمنا قال
بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان يأمن من الطلب
من احدث حدثا ولجأ اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى واذ
جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما
اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا
عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله
حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن
حج ثانية داين ربه فينادي عنا ملك من عند الله من كان له دين
عند الله فليقم الى ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار
ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك
من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام
ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك
عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له

ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة من الآمنين قال
الفقيه القاضي ابو الفضل قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه
الله حدثك ابو العباس العذري قال حدثنا ابو اسامة محمد بن
احمد بن محمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق قال سمعت ابا الحسن
بن محمد بن الحسن بن راشد يقول سمعت ابا بكر محمد بن ادريس
سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار
سمعت ابن عباس رضي الله عنهم يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال
ابن عباس رضي الله عنهما وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال
عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من ابن عباس رضي الله عنهما الا استجيب لي وقال سفيان وانا
فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي
وقال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي
وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال
ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت

الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا
استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الآخرة قال
العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا قد دعوت الله فيه
باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وانا ارجو من سعة فضله ان
يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت
في هذا الفصل وان لم يكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله
حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه او يجوز عليه
وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله
تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات او قتل
الآية وقال ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من
المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الآية محمد صلى الله عليه وسلم
وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق
الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنهم
مخاطبتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان

على صورته وقال تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اى لا يمكن في سنة
الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه
وقواه على مقاومته كالأنبياء والرسل وسائط بين الله
وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم
بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته
فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ
عليها ما يطرئ على البشر من الأعراض والاسقام والموت والفناء
ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف
البشر متعلقة بالملاء الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من
التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ
عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر
ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف
صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم
من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ومن
جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام لو كنت
متخذا خليلا من امتي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال

انى لست كهيئتكم انى اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة
عن الآفات مطهرة عن النقايص والاعتلالات وهذه جملة
لن يكتفي بمضمونها كل ذى همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل
على ما نأتي به بعد هذا ان شاء الله تعالى في البابين بعون الله تعالى
وهو حسبي ونعم الوكيل **الباب الأول فيما يختص** بالامور الدينية
والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء صلوات عليهم اجمعين
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه **اعلم** ان الطوارئ من
التغيرات والآفات على اجساد البشر لا يخلو ان تطرئ على جسمه
او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والأسقام او تطرئ
بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ
بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح
وجميع البشر تطرئ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير
الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان كان
من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت
البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه
عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار
كما نبينه ان شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل **فصل في حكم عقد
قلب النبي عليه السلام** من وقت نبوته **اعلم** منحنا الله واياك
توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله تعالى

وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح
العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب
فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع
اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون
في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه
السلام رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم عليه السلام في اخبار الله له
باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة
الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته
ومشاهدته الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم اجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون
قوله اولم تؤمن اي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث انه سال زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن
في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد يتفاضل في
قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ويجوز في النظريات
فاراد الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين
الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال
كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع
انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه

ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على
طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن
قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه اري من نفسه الشك
وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة عند ربه وقول نبينا عليه السلام
نحن احق بالشك من ابراهيم بل نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد
الخواطر الضعيفة ان يظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث
واحياء الله الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه وهذا
اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك
او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار
حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك
مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين
فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين
عن ابن عباس او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما
اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن
عباس رضي الله عنهما لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسئل
ونحوه عن ابن جبير والحسن رضي الله عنهما وحكى قتادة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسئل وعامة المفسرين على
هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت
في شك الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل

قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب
العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك
الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء
ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله الاية وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعو اليه
فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل
هذه الاية قوله الرحمن فسئل به خبيرا المأمور هنا غير النبي صلى الله عليه
وسلم ليسئل النبي والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول لا المستخبر
السائل وقال ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم
بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه من اخبار الامم لا فيما
دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل من
ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون
والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتيبي وقيل معناه سل
عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ الكلام اجعلنا
من دون الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه
مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسئل الانبياء ليلة الاسراء
عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى سؤال فروي انه قال
لا اسئل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امما من ارسلنا هل جاؤهم
بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة رضي

الله عنهم والمراد بهذا والذي قبله اعلامهم بما بعث به الرسل وانه
تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم
في قولهم انما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين
اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به
شكه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي
قل لمن امترى يا محمد في ذلك فلا تكونن من الممترين بدليل قوله اول
الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب
بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك
فسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما
شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتاب ونشر فضائلك
وحكي عن ابي عبيدة رضي الله عنه ان المراد ان كنت في شك من غيرك
فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيئس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة
رضي الله عنها معاذ الله ان يظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك
ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم
وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم
لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير

وجماعة من العلماء رضي الله عنهم وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح
فلا تشتغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء
فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبدء الوحي
من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها لقد خشيت على نفسي
ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي
ان لا يحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي لينقلع قلبه او تزهق
نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك
قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه
من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبداية المقامات والتباشير كما روي
في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري
في اليقظة مثل ذلك في المقام تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الامر
مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حاله بنية البشرية وفي الصحيح عن
عائشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان
جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما
مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى
الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى
ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار
حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث

عائشة رضي الله عنها في غطه له واقرائه اية له اقرأ باسم ربك
السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي فكانما صورت
في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون فقلت لا تحدث عني
قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي
منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي
من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي
فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان
قوله لما قال وقصده لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام
وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله
عمرو بن شرحبيل رضي الله عنه انه عليه السلام قال لخديجة اني
اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا الامر
ومن رواية حماد بن سلمة رحمه الله ان النبي عليه السلام قال
لخديجة رضي الله عنها اني لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان
يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث
ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معنى الشك في تصحيح ما
وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله انه
رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام
الله تعالى ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي
اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن
اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضي الله عنها اوجه اليك
من يرقيك فقال اما الان فلا وحديث خديجة رضي الله عنها واختبارها
امر جبريل عليه السلام بكشف رأسها الحديث انما ذلك في حق
خديجة رضي الله عنها لتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله
محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها ان ورقة
امر خديجة ان يختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني
بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها فقالت له اجلس
الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا
الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل انها مستثبتة بما
فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر
رضي الله عنه في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا
غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال لا يقدح في
هذا الاصل لقوله معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا
من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا
الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر

كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه كما قال
تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا
ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن
محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار
الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على
ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر
فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان
الفترة لامر او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة من ربه ففعل
ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو
هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به
من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه اي
لن يضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في
خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه بالعقوبة وقيل نقدر
عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه
وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا
يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله
اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس
والضحاك رضي الله عنهم وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له
ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء عليهم السلام

وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر
وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به
على لسان نبي اخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه
فخرج لذلك مغاضبا له وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل
من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من
يقطين وارسلناه ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت
وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه
القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين
مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا
وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب
ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها
وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم
الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من
الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس
يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد
للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق

بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة
الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس
وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في
طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق
عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند
خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه
هنالك ارفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله
بسواها غضا من علي حاله وحفظا من رفيع مقامه ومنيع فاستغفر
الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا به
اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا
غامض معناه وكشفنا للمستفيد وجه محياه وهو مبني على جواز الفترات
والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت
من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا جلة واجله عن ان يجوز عليه في حال سهو او فترة
الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه السلام
لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون
الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله
سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام عندها اظهارا
للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف

للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون
الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام
تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكراً لله وملازمة للعبودية كما قال في
ملازمة العبادة افلا اكون عبداً شكوراً وعلى هذه الوجوه الاخيرة
يحمل ما روى في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان
على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى
قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
من الجاهلين وقد قال لنوح عليه السلام فلا تسئلن ما ليس لك به
علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك
الى قول من قال في آية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان الله
لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح عليه السلام لا تكونن ممن
يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل
بصفة من صفات الله تعالى فذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم
ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس
في اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها
فكيف واية نوح قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها
على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة
السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسئله عما طوى عنه علمه واكنه
من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه

ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي
وكذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى بالتزام الصبر
على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة
التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى
الله عليه وسلم اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال
مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء
منه بعد النبوة قطعاً فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه
لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذاً وعيد الله لنبينا عليه السلام
على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك
الاية وقال ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية
وقال اذاً لاذقناك ضعف الحيوة الاية وقال لاخذنا منه باليمين
وقال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقال
فان يشاء الله يختم على قلبك وقال فان لم تفعل فما بلغت رسالته
وقال اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله
واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان
يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب
او يفتري عليه او يضل ويختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله
يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه
ان لم يكن لهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه

بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون لا تخافا انني
معكما لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم
خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من
يفعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله وان
تطع اكثر من في الارض الاية فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين
كفروا الاية وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن
عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي
صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين
فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال
ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان
من الظالمين فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس
فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته
والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن
الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد
والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل
احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك
قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب

تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا
عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها
واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء
من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك
ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين
وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد
قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما
كان يعبد اباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل
على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل ولما سكتوا عنه كما لم
يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم
عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الاية
وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه
قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه
ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور
ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد
هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه
صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم
غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدا ولا يشبه

عليك بقول ابراهيم فى الكوكب والقمر والشمس هذا ربى فانه
قد قيل كان هذا فى سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال
وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين
الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الانكار والمراد افهذا ربى قال الزجاج قوله هذا
ربى اى على قولكم كما قال اين شركائى اى عندكم ويدل على انه
لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله
تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين وقال اذ جاء
ربه بقلب سليم اى من الشرك وقوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام
فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين
قيل انه ان لم يؤيدنى بمعونته اكن مثلكم فى ضلالتكم وعبادتكم
على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم فى الازل من الضلال
فان قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
ارضنا او لتعودن فى ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله
كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجينا الله منها فلا يشكل عليك لفظة
العود وانها يقتضى انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم
فقد تاتى هذه اللفظة فى كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى
الصيرورة كما جاء فى حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل

ذلك ومثله قول الشاعر شعر تلك المكارم لا قعبان من
لبن شيبا بما فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك فان قلت
فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذى
هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبرى وقيل
وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان
والى رشادهم ونحوه عن السدى وغير واحد وقيل ضالا عن
شريعتك اى لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير
ولهذا كان عليه السلام يخلوا بغار حراء فى طلب ما يتوجه به
الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه
القشيرى وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك
ما لم تكن تعلم قاله على بن عيسى قال ابن عباس رضى الله عنهما لم تكن له
ضلالة معصية وقيل هدى اى بين امرك بالبراهين وقيل
وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهدى بك ضالا وعن جعفر بن
محمد رضى الله عنهما ووجدك ضالا عن محبتى لك فى الازل اى لا تعرفها
فمننت عليك بمعرفتى وقراء الحسن بن على ووجدك ضال فهدى
اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى
والضال المحب كما قال انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة
ولم يريدوا ههنا فى الدين اذ لو قالوا ذلك فى نبى الله لكفروا ومثله
عندهنا قوله انا لنريها فى ضلال مبين اى محبة بينة وقال الجنيد

ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا
اليك الذكر الاية وقيل وجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك
الله فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها ضالا
عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا
من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة
وقال الازهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما الاية
فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب
ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القرآن
ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان
الذي هو الفرايض والاحكام قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل
مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن تدريها قبل فزاد بالتكليف
ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تعالى وان كنت
من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله تعالى والذين هم عن اياتنا
غافلون بل حكى ابو عبيد الهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف
اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة
بسنده عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع
المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب
حتى يقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام

فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل رحمه الله جدا وقال
هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان
وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت
اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله
بغضت الي الاصنام وقوله في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن
حين كلمه عمه واله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته
لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي
رجل ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله
في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى
اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى
فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له
بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال سل عما بدا لك
وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله له انه كان
قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف
هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام فصل قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد
والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب
من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت

من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع
الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في
حق نبينا عليه السلام في الباب الرابع في اول قسم من هذا الكتاب
ما ينبه على ما ورده الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما
ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في حق الانبياء العصمة من عدم
معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم
عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها
وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا
في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من
امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل
قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح
دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال
الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة
واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به
ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن
وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل
بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه
فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين

وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم
ينزل علي فيه شيء خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن
للمتخلفين على رأي بعضهم ولا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره
اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من
خالف فيه ممن اجاز عليه في الاجتهاد الخطاء لا على القول بتصويب
المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان
الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطاء في الاجتهاد
في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار
الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل
عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه النبي صلى الله
عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية
فقد كان لا يعلم منها الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها
عنده اما بوحي من الله او اذن له ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه
الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم
جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع
الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء
من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى ما لا
يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق
الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشرا

الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم
يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا يأخذ فيما اعلم منه
شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع
تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر
لقوله عليه السلام اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر
على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول
موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقول
صلى الله عليه وسلم اسئلك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله
صلى الله عليه وسلم اسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او استأثرت به
في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال
زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء به
اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى
الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية

فصل واعلم ان الامة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه
وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على
خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله
قال ثنا ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا ابو بكر البرقاني وغيره قالوا
ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا احمد
بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق

عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم
من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا
واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم
زاد غيره عن منصور فلا يأمرني الا بخير وعن عائشة رضي الله عنها
بمعناه روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية
ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل من حال الكفر الى
الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه
بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان
هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل احد من بني آدم فكيف
بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت
الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره
واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا
خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم
واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام
ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي
يقطع علي الصلاة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه
الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان
رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي
الدرداء رضي الله عنه عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس جاء بشهاب

بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة
وذكر وتعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال
لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه
في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه
ذكره في الموطأ ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط
الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم بدر
في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم الاية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد
كفاه الله امره وعصمه من ضره وشره وقد قال عليه السلام
ان عيسى كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن
في الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان
تكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه
علي فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض
عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك
على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال
من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك
ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه

غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطره ادنى
وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون
سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم
يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح
ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول
الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك
النبي صلى الله عليه وسلم ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله
حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه
لتتم كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى
قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى
الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل
منها السهل والوعر والوعث والسمين والغث واولى ما يقال
فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني هنا التلاوة والقاء
الشيطان فيها شغله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى
يدخل عليه الوهم والنسيان في ما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام
السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف
لبسه ويحكم اياته وسياتي الكلام على هذه الاية بعد باشبع من
هذا ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال
بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح

وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد
هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد المكي في قصة ايوب وقوله
انى مسني الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول
ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون
ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي
اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله
تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه
الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلوة
يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام
في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد
في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص
او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين
وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول
يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة
مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما نبئ
بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل
القرآن وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال
المفسرون في قوله فانساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه
الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اى انساه ان يذكر

للملك شأن يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من
فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس
ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما
ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد به شيطان
فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى
ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا
فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان
في ذلك الوادي الذي عرس به من عروسهم انما كان على بلال
الموكل بكلائة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان
تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على
سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل
مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه
وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله عليه السلام فقامت
الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان
طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف
ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا اما تعمد الخلف
في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق عبدي
فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة
الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني

ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع
بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة
نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف
بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب
فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف
في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه
وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في
حال الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو
رضي الله عنهما قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال
نعم اكتب عني كلما سمعت مني قلت في الرضاء والغضب قال نعم فاني
لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة
عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا
ولا تبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت
فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به
اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتيكم الرسول فخذوه
وما نهيكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر
بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا عليه الغلط والسهو
لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل والمعجزة مشتملة على

تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق
فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي
من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ والنجم وقال افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية وان شفاعتها لترتجى
وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة
ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه
اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها
على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه
شيء تقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه
شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض
عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى تسلية له وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية فاعلم
اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين
احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك
ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند
سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون

بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي
بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء
والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه عليه السلام
قراها في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه
السورة وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث
نفسه فسهى وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي
صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقراتك وآخر يقول
بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها فلما بلغ النبي ذلك
قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت
هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها
الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث
شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده
عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما
يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهم فقد بين لك
ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه

من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي
لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا يجوز الرواية عنه
ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي
منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا والنجم وهو بمكة فسجد
معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق
النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجتمعت الامة على عصمته
صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل
عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه
الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي
صلى الله عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليه
السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي
عليه السلام من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم
من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه السلام من
جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه
ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان
يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف
الممات الاية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك
ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام

ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله
عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى
عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع
في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة
المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل
فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد
من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه
القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت
قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة
في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك
ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت
ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي
عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث
اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس او الجن هذا الحديث
على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر
الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين
وهاتان الايتان تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا
يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا

ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم شيئا
قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون
والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت
ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له
وهذا مثل قوله تعالى في الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك
من شيء وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن
كاد فهو ما لا يكون وقال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
ولم يذهب وقال الله تعالى اكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي
ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه
الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب
الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر ما ذكرناه
من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق في الاية الا ان
الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا
من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم
وهو مفهوم الاية واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح
وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد اجاب على ذلك
ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل
ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه السورة

يجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز
على النبى مثله فى حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولى
الشيطان عليه فى نوم ولا يقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم فى هذا
الباب من جميع العمد والسهو اجماعا وفى قول الكلبى ان النبى
صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفى
رواية ابن شهاب عن ابى بكر بن عبد الرحمن قال وسهى فلما اخبر
بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام
لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبى
صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول
ابراهيم عليه السلام هذا ربى على احد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم
هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا
ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو
احد ما ذكره القاضى ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روى انه كان
فى الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع عنه والذى يظهر ويترجح
فى تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآى تفصيلا فى قراءته
كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها
ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه
من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبى صلى الله عليه وسلم واشاعوها

ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله
تعالى وتحققهم من حال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذم الاوثان وعيبها
بما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة فى مغازيه نحو هذا وقال ان
المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك فى اسماع المشركين
وقلوبهم ويكون ما روى من حزن النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة
والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى الآية فمعنى تمنى تلا وقد قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب
الا امانى اى تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يذهبه
ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبى صلى
الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو
قول الكلبى فى الاية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اى حدث نفسه
وفى رواية ابى بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو فى القراءة انما
يصح فيما ليس طريقه تغيير المعانى وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس
من القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا
السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره فى حكم ما يجوز عليه
من السهو وما لا يجوز عليه ومما يظهر فى تأويله ايضا ان مجاهدا روى
هذه القصة والغرانقة العلى وان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا
كان قرآنا والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة
على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبى الغرانقة انها الملائكة وذلك

ان الكفار كانوا يعتقدون ان الأوثان والملائكة بنات الله تعالى حكى
الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الأنثى فانكر الله
كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون
على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم
والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك
اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القرآن
ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به
من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين
لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة
وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي
بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي
صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا
ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم
وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين
للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم اياته ودفع
ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

ومن ذلك ما روى في قصة يونس عليه السلام انه وعد
قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال
لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان
ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال
لهم ان الله مهلكم وانما فيه انه دعا عليهم بالعذاب والدعاء ليس
بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت
كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم دفع الله عنهم العذاب وتداركهم
قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
الاية وروى في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب ومخائله قاله
ابن مسعود رضي الله عنه وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه غشاهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روى من ان عبد
الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا
حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول
نعم كل صواب وفي حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم
اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول
اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب
كيف شئت وفي الصحيح عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا كان
يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد وكان يقول

ما يدرى محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل
للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا
لا يوقع فى قلب مؤمن ريبا اذ هى حكاية عمن ارتدت وكفر بالله ونحن
لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسله
ما هو اعظم من هذا الافتراء والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية
سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله
ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله
وافتراه على نبى الله وانما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
الاية وما وقع من ذكرها فى حديث انس وظاهر حكايته لها فليس
فيها ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه
ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس
قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضى الامام رضى الله
عنه ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد
والصحيح حديث عبد الله بن العزيز بن رفيع عن انس الذى خرجه
اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شىء من ذلك من قبل
نفسه فى جميع الروايات الا من حكايته عن المرتد النصرانى
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبى صلى الله عليه وسلم
فيما اوحى اليه ولا جواز النسيان والغلط عليه والتحريف فيما
بلغه ولا طعن فى نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس

فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة
او كلمتين مما نزل على الرسول عليه السلام قبل اظهار الرسول
لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضى
وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه
وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى
قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك فى جملة
الكلام كما لا يتفق ذلك فى اية ولا سورة وكذلك قوله عليه السلام
ان صح كل صواب فقد يكون فيما كان فيه من مقاطع الاى وجهان
وقراءتان انزلتا جميعا على النبى صلى الله عليه وسلم فاملى احديهما
وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى
فذكرها للنبى صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبى صلى الله
عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك
فى بعض مقاطع الاى مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرا جماعة
فانك انت الغفور الرحيم وليست فى المصحف وكذلك كلمات جاءت
على وجهين فى غير المقاطع قراهما جميعا الجمهور وثبتتا فى المصحف مثل
وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما وننشرها ويقض
الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبى

صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون
فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القران فيصف
الله ويسميه في ذلك كيف شاء **فصل هذا القول** فيما طريقه
البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها
الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا يضاف الى وحي بل في امور الدنيا
واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع
خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه
معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته
ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم
من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة
بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف
ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها
سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر
باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله
عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال له اليهودي كانت
هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره
وسيره واثاره وشمائله معتنى بها ومستقصى تفاصيلها ولم يرد
في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه
بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام

رجوعه

رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رايا
لا خبرا وغيره ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله
لا احلف على يمين فارى خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه
وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون الي الحديث وقوله عليه السلام
اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا الباب من مشكل
والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب
متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه
كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس
موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالغفلة والوهم
وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في
امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروة وكل
هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه مما يستشنع ويستبشع
مما يخل بصاحبها وتزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا
الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها بالخلاف فيها
مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره وسهوه وعمده
اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة
فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه
من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز

ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز
عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به فى امورهم واحوال دنياهم
لان ذلك كان يزرى ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد
وانظر احوال اهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها
من الامم وسؤالهم عن حاله فى صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه
قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه فى الباب الثانى اول الكتاب
ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه **فصل فان قلت** فما معنى قوله عليه السلام
فى حديث السهو الذى **حدثنا** به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر ثنا
القاضى ابو الاصبغ ابن سهل قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو عبد الله بن
الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبد الله ثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين
عن ابى سفيان مولى ابن ابى احمد انه قال سمعت ابا هريرة رضى الله
عنه يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر فسلم فى ركعتين
فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن **وفى** الرواية الاخرى ما قصرت
وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفى الحالتين وانها لم تكن وقد كان احد
ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله **فاعلم** وفقنا
الله واياك ان للعلماء فى ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها
ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز

الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذى
زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما
على مذهب من يمنع السهو والنسيان فى افعاله جملة ويرى انه
فى مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق فى خبره لانه
لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل فى هذه
الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره فى
موضعه واما على احالة السهو عليه فى الاقوال وتجويز السهو عليه
فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبى
صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر
فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم
عن اعتقاده وانه لم ينس فى ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه
وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه ثانى ان قوله ولم انس راجع
الى السلام اى انى سلمت قصدا وسهوت عن العدد اى لم اسه فى
نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها
ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن
اى لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه
مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلوة وما نسيت
هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه يحتمل اللفظ على بعد بعضها
وتعسف الاخر منها قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه والذى اقول

ويظهر لى انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار اللفظ
الذى نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئس ما لاحدكم ان يقول
نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسى وبقوله فى بعضه وايات الحديث الاخر
لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت
انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى
شئ من ذلك فقد نسى حتى سأل غيره فتحقق انه نسى واجرى عليه ذلك
ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق
لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسى ووجه اخر استثرته من كلام بعض
المشايخ وذلك انه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى
ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والتسهو انما هو
شغل بال فكان النبى صلى الله عليه وسلم يسهو فى صلاته ولا يغفل عنها وكان
يشغله عن حركات الصلوة ما فى الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق
على هذا المعنى لم يكن فى قوله ما قصرت وما نسيت خلف فى قول واما قصة
كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة فى الحديث انها كذباته الثلاثة
المنصوصة فى القرآن منها اثنتان قوله انى سقيم وبل فعله كبيرهم هذا
وقوله للملك عن زوجته انها اختى فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة
عن الكذب لا فى القصد ولا فى غيره وهى داخلة فى باب المعاريض التى
فيها مندوحة عن الكذب واما قوله انى سقيم فقال الحسن وغيره اى ساسقم
اى كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر بقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا

وقيل بل سقيم بما قدر على من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده
من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما
رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق
وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم
التى كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره فى ذلك وقبل استقامة
حجته عليهم فى حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف
ايمانه ولكنه ضعف فى استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة
ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب
والشمس والقمر ما نصه الله تعالى وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم
الاية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو
فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما
قوله اختى فقد بين فى الحديث وقال فانك اختى فى الاسلام وهو
صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبى صلى الله
عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث
كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام
صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما
كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام من
مؤاخذته بها واما الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة
ورى بغيرها فليس فيه خلف فى القول انما هو ستر لمقصده لئلا

بأخذ عدوهم وحذرهم وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر
والبحث عن اخبارهم والتعريض بذكرهم لا انه يقول تجهزوا الى غزوة
كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس
فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد
سئل اى الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم
اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد
انبأنا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع فى هذا الحديث من بعض
طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضى الله عنهما هل تعلم احدا اعلم منك
فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة
وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله فى
النبوة والاصطفاء يقتضى ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن
اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه
وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة
ويكون الخضر اعلم منه بامور مما لا يعلمها احد الا باعلام الله من علوم
غيبه الخاص به كالقصص المذكورة فى خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة
بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من
لدنا علما وعتب الله عليه ذلك فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه
لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض
قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله فى تزكية

نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان
نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطى والدعوى وان
نزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها
الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال
عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر
وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من
موسى ولا يكون الولى اعلم من النبى واما الانبياء فيتفاضلون
فى المعارف وبقوله وما فعلته عن امرى فدل انه بوحى ومن قال
انه ليس بنبى فقال يحتمل ان يكون فعله بامر نبى آخر وهذا يضعف
لانه ما علمنا انه كان فى زمن موسى عليه السلام نبى غيره الا اخاه
هرون وما نقل احد من اهل الاخبار فى ذلك شيئا يعول عليه واذا
جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفى قضايا معينة
لم نحتج الى اثبات نبوة الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى
اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى
عليه السلام وقال آخر انما الجئ موسى الى الخضر للتأديب لا للتعليم

فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول
باللسان فيما عدا الخبر الذى وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب
فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون
على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور

فى ذلك الاجماع الذى ذكرناه وهو مذهب القاضى ابى بكر ومنعها
غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ
ابو اسحق وكذلك لاخلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير
فى التبليغ لان كل ذلك يقتضى العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك
من الكافة والجمهور قائل بانهم معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون
باختيارهم وكسبهم الا حسين النجار فانه قال لا قوة لهم على المعاصى اصلا
واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو
مذهب ابى جعفر الطبرى وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف
وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات فى الشرع قاطع باحد الوجهين
وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من
الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس فى الصغائر وتعيينها
من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس رضى الله عنهما وغيرهما
ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة وانه انما سمى منها الصغير بالاضافة الى
اكبر منه ومخالفة البارى تعالى فى اى امر كان يجب كونه كبيرة قال
القاضى ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان فى معاصى الله صغيرة
الا على معنى انها تغفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف
الكبائر اذا لم يتب منها ولا يحبطها شىء والمشيئة فى العفو عنها الى الله وهو
قول القاضى ابى بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال

بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون
عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا فى صغيرة
ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت الازراء
والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل
هذا يحط منصب المتسم به ويزرى بصاحبه وينفر القلوب
عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح
فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد
ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل
بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع
اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك
والشافعى وابى حنيفة رحمهم الله من غير التزام قرينة بل مطلقا عند
بعضهم وان اختلفوا فى حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج
عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهرى وابن القصار
واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق واحمد بن سريج والاصطخرى
وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب
وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور
الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة فى افعاله لم يقيد
قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم فى افعالهم اذ ليس
كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر

او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على
من يرى من الاصوليين تقديم الفعل على القول اذا تعارضا ونزيد
هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه السلام
مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى رأى شيئا
فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله
في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم
من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله
ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة
قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي
كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا
نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته
مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة
او العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال
هلا خبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة محتجة كنت افعله انا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذي اخبر بمثل
هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم
بحدوده والآثار في هذا اعظم من ان يحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة
في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر

عليه السلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وايديهم كايدي
غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له
صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار
الآخرة لا يأخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على
سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على
هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا في
خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر
انبيائه عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن
وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي
قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله تنزيههم
من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة تصورها
كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما يكون بعد تقرر الشرع وقد
اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان
متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول
الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه ح اذ
الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرير الشريعة ثم
اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى
فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد

الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن
كتمه وستره في العادة اذ لو كان من مهم امره واولى ما اهتبل به
من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر
شيء من ذلك جملة وذهب طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا
لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين
والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واسناد ذلك الى النقل كما تقدم
للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقد قالت فرقة طائفة اخرى بالوقف
في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل
الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو
مذهب ابي المعالي ومالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله
ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم
وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان
يتبع من قبل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات
الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب
اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء
من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم ان عيسى عليه
السلام اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت
عموم دعوة عيسى عليه السلام بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة
الا لنبينا عليه السلام ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة

ابراهيم حنيفا وللاخر في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم يكن له
شريعة تخصه كيوسف ابن يعقوب على قول من يقول انه ليس
برسول وقد سمى الله جماعة منهم في هذه الاية وشرائعهم مختلفة
لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة
الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول
في سائر الانبياء غير نبينا عليه وعليهم السلام او يخالفون بينهم
اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما
من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى
اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله فيلتزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى
معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو
والنسيان في الوظايف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق
الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء في ترك
المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك
على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا
مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو

فى القول فى هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك
فى حق النبى عليه السلام وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا
فكذلك قالوا الافعال فى هذا الباب لا يجوز طروء المخالفة
فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطروء
هذه العوارض عليها توجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن
احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا ان شاء الله والى هذا
مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة
فى الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا عن قصد منه جائز
عليه كما تقرر من احاديث السهو فى الصلوة وفرقوا بين ذلك
الفعل وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق فى القول
ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو فى الافعال فغير مناقض لها ولا قادح
فى النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه
السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى نعم بل حالة
النسيان والسهو هنا فى حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع
كما قال عليه السلام انى لانسى او انسى لاسن بل قد روى لست انسى
ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له فى التبليغ وتمام عليه فى
النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك
يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون
حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقيل انقراضهم على قول الاخرين

واما

واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه
السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لا يفعله ليتبع
فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها
ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة
الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن
ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه
السلام انه ليغان على قلبى فاستغفر الله وليس فى هذا شىء يحط
من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان
والغفلات والفترات فى حقه عليه السلام جملة وهو مذهب
جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم فى هذه الاحاديث
مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى **فصل فى الكلام على
الاحاديث** المذكور فيها سهوه عليه السلام قد قدمنا فى الفصول قبل
هذا الفصل ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه
فى الاخبار جملة ولخبرنا وقوعه فى الافعال وفى الاقوال الدينية
قطعا واجزنا وقوعه فى الافعال الدينية على الوجه الذى رتبناه
واشرنا الى ما ورد فى ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من
الاحاديث الواردة فى سهوه عليه السلام فى الصلوة ثلاثة احاديث
اولها حديث ذى اليدين فى السلام من اثنتين وحديث ابن بحينة
فى القيام من اثنتين وحديث ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى

صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على
السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ
بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر
على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه
كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير
مضادة للمعجزة ولا قادح في التصديق بالرسالة وقال عليه السلام
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله
فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن
وقال عليه السلام اني لا انسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك
من الراوي وقد روي اني انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن
نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى
انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني
انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من
الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف
احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه
اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام
على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى
لان النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه
عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات

الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله عليه السلام
في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة اخرى الى منع
هذا كله عنه عليه السلام وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا
او قصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى
منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم
في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن بقوله اني لا انسى او انسى
وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما
انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين
من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه
ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله عليه السلام اني لا انسى ولكن
انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة
لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي
او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها
ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل
بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك
يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه
احتج من ذهب الى جواز تأخير الصلوة بوقت الخوف اذا لم يتمكن من
ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم
صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه

عليه السلام عن الصلوة يوم الوادي وقد قال عليه السلام ان عيني
تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان
المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر
منه غير ذلك كما يندر عن غيره خلاف عادته ويصحح هذا التأويل
قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول
بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون
منه عليه السلام لامر يريده الله تعالى من اثبات حكم وتأسيس سنة
واظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا ولكن
اراد ان تكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون
منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى
يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس رضي الله عنهما
المذكور فيه وضوؤه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله ولا يمكن
الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث
آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت
الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم
وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا
من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء
لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما
قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شأنه عليه السلام

التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر فلا تصح ممن نامت عينه
اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله
ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل
فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام
اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني
كذا وكذا آية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه
الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ
حفظه من القرآن اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن
الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة
من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه
صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه
والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام
لما اسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه
وتوصيله الى عباده ثم يستدركها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى
الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان
ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسى
منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر
ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه
بلاغه **فصل في الرد على من اجاز** عليهم الصغائر والكلام على

ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء من
الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا
على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم الى تجويز الكبائر عليهم وخرق الاجماع وما لا يقول به
مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت
الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه
من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به
قديما وقامت الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه
والمصير الى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى
فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
وقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله تعالى لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله تعالى عبس وتولى ان جاءه
الاعمى الاية وما نص من قصص غيره من الانبياء كقوله تعالى وعصى
ادم ربه فغوى وقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الاية
وقوله تعالى عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله تعالى عن يونس سبحانك
اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله تعالى
وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله

ماب وقوله تعالى ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع
اخوته وقوله تعالى عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال
هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه
اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
ونحوه من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم
في حديث الشفاعة وقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي
فاستغفر الله من ذنبي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه اني
لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله
تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني الاية وقد كان قال الله له
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقوله تعالى عن ابراهيم والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله تعالى عن موسى تبت
اليك وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر
قال القاضي رحمه الله فاما احتجاجهم بقوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل
المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من
ذنب وما لم يقع فاعلمه الله انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة
والمتأخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك
امته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل
حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك آدم

وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندى والسلمى عن ابن
عطاء وبمثله والذى قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات قال مكى مخاطبة النبى عليه السلام ههنا هى مخاطبة
لامته وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادرى
ما يفعل بى ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الاية وبمآل المؤمنين فى الاية
الاخرى بعدها قاله ابن عباس رضى الله عنهما فمقصد الاية
انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة
ههنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذى
انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن
زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته
منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهرك حكى معناه السمرقندى
وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردى والسلمى وقيل اى حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية
حكاه مكى وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك
حتى شرعنا لك ذلك حكى معناه القشيرى وقيل معناه خففنا
عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض
اى كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام
النبى صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد

النبوة

النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون
الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت
ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عنه وشغل قلبه
من امور الجاهلية واعلام الله له بحفظ ما استحفظه من وحيه
واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبى
صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده
الله عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من
ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان
مخيرا فى امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل
عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم
اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا
وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبى
صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب
عليهم قط اى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيرى قال وانما يقول
العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى
عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا قال الداودى روى انها تكرمة
قال مكى هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندى
ان معناه عافاك الله واما قوله فى اسارى بدر ما كان لنبى
ان يكون له اسرى الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبى صلى الله عليه

وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء
وامته فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام
احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون
عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد
غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا
النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها
نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب
وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو
ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى الاية
فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي
لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم
بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على
الغنايم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا انكم كنتم
مومنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب
من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم
فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله
تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك
وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل

وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا
الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا
الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان
الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف
اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
والى نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه السلام في هذه القضية
لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من
تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز الدين واظهار
كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا
نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن
الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي
والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه
وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه
وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله
نبيه في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنايم والفداء
وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل
فيها ابن الحضرمي بالحكم ابن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك
عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل
النبي عليه السلام في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة

وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم ولكن الله تعالى اراد لعظم
امر يدٍ وكثرة اشرها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم
ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتابٍ وانكارٍ
او تذنيب هذا معنى كلامه واما قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه
الاعمى الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله
ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان
لو كشف لك حال الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى
الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا
عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه
الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده
والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس
وتولى الكافر الذى كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام
واما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه
تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اى جهل وقيل اخطا
فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى
ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه
من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية وقيل نسى ذلك
بما اظهر لهما وقال ابن عباس رضى الله عنهما انما سمى الانسان

انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها
ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان
احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر آدم بمثل هذا الاغترار
فى بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن
يخدع وقد قيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما
اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الجزم
والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان
الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية
وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى
والساهى عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره
انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء
والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها
الشجرة التى نهى عنها لانه تاول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على
الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة
وقيل تاول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل حال
فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه وقال فتاب عليه وقوله فى حديث
الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتى
الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة

يونس عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها انفاً وليس في قصة
يونس نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضباً وقد تكلمنا عليه
وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فاراً من نزول العذاب
وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه
كذاب ابداً وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف
عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس
فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله اذ ابق الى الفلك
المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم
وضع الشئ فى غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما
ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه
بالعذاب على قومه وقد دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه فلم يؤاخذ
بذنبه وقال الواسطى فى معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى
نفسه اعترافاً واستحقاقاً ومثل هذا قول ادم وحوى ربنا ظلمنا
انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما غير الموضع الذى انزلا فيه واخرجهما
من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب
ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين
بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شئ من ذلك
ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه
الى قوله وحسن مآب وقوله فيه انه اواب فمعنى فتناه اى اختبرناه

واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس
وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لى عن امراتك
واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله
بالدنيا وهذا الذى ينبغى ان يقول عليه من امره وقد قيل
خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندى
ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك
فظلمه بقول خصمه وقيل بل لما خشيه على نفسه من الغفلة وظن
من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا والى نفى ما اضيف فى
الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما
من المحققين قال الداودى ليس فى قصة داود واوريا خبر
ثبت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين
اختصما اليه رجلان فى نعاج غنم على ظاهر الاية وقيل لما خشى
على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا واما قصة
يوسف عليه السلام واخوته فليس على يوسف فيها تعقب واما اخوته
فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم
فى القرآن عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نبى من
ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه
صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا
قالوا ارسله معنا غداً نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا

والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان
رأى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم
النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه
عز وجل اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في
همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم
اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم يوطن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم
يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها
من هذا الهم ويكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي
عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي
ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله
تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل
في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل همها
اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها
وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى
يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت

هيبته

هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى عليه السلام مع قتيله
الذي وكزه فقد نص الله تعالى على انه كان من عدوه قيل كان من
القبط الذين كانوا على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه
قبل نبوة موسى عليه السلام وقال قتادة رضي الله عنه وكزه بالعصا
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل
الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج رضي الله عنه
قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل احدا حتى يؤمر بقتله
وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها
دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى
التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد
ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه
في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله
ابن جبير ومجاهد رضي الله عنهما من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها
واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل
في عرف الشرع في اختبار يؤدي الى ما يكره وكذلك ما روي
في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث
ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له
اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى عليه السلام
دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة آدمي

ولا يمكن حينئذ انه علم انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة
ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من
الله تعالى لهما فلما جاءه بعد ذلك واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم
وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي
وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن
عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقئ عين حجته وهو كلام مستعمل
في هذا الباب في اللغة معروف **واما قصة** سليمان عليه السلام
وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه
ابتليناه وابتلاؤه ما حكى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن
الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس
يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل
منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال
اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض
عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات الولد فالقي على كرسيه ميتا
وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه
ان احب بقلبه ان تكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب
قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به

وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين
لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل
لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها
ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله
تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا
ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون
ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه
مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من
الله تعالى فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله
ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته
كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى
الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا **واما قصة** نوح عليه السلام
فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى
واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من
ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين
وعدهم بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق
الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا التاويل وعتب
عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في

السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر
ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى
ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي
عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل
فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة واحدة احرقت امة من الامم تسبح فليس
في هذا الحديث ان هذا النبي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة
وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى
ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله
عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب
عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها
اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها
من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امرا نهي عنه فيعصي به
ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه
والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام ما من احد الا الم
بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب
عنه ما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد وعن
سهو وغفلة فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب
والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين

فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر في القران
والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم
وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى وسنته في عباده وعظم سلطانه
وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من
المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها
ولا امروا بها ثم ووخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها
واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة
خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص
بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب
ماخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اي اخره
واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوأ ما يجري
من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم
بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله
تعالى واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر
والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة الى هذه الهنات في حقه
كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها
بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك

والمخالفة على مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل
فهي مخالفة وترك وقوله غوى اى جهل ان تلك الشجرة هي التي
نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها
وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد وأخذ بقوله لاحد
صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين قيل انسى يوسف ذكر الله وقيل انسى
صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة
يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار رضي الله عنه لما
قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك
فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء
بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم
في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى
على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء عليهم السلام يؤاخذون بهذا
مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع
فحالهم اذا في هذا اسوء حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله تعالى انا لا نثبت لك
المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك
في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون
استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى وقال تعالى لداود عليه السلام فغفرنا له ذلك الاية وقال

بعد

بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك على الناس وقال
بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن
مآب وقال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات
وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا
فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم
بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم
ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب
الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المرى ذكر
داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة
صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام
وايضا فيقال لهم فانتم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر
باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم
من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها
اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت
فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتاويل
وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره
من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف
بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه كما قال عليه السلام وقد امن
من المؤاخذة بما تقدم وتاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال

انى لاخشاكم لله واعلمكم بما اتقى قال الحارث بن اسد خوف الملائكة
والانبياء خوف اعظام وتعبد لله لانهم آمنون وقيل فعلوا ذلك
ليقتدى بهم ويستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وايضاً فان فى التوبة والاستغفار معنى
آخر لطيفاً اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال
الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل
والانبياء الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة فى كل حين استدعاء
لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لقد تاب الله على النبى والمهاجرين
والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته
عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافى العلم
بشىء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلاً واجماعاً وقبلها سمعاً ونقلاً
ولا بشىء مما قررته من امور الشرع واداه عن ربه من الوحى
قطعاً عقلاً وشرعاً وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ
نباه الله وارسله قصداً او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعاً
واجماعاً ونظراً وبرهاناً وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً وتنزيهه
عن الكبائر اجماعاً وعن الصغائر تحقيقاً وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته

فى كل حالاته من رضا وغضب وجد ومزح فيجب لك ان تتلقاه
باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبى
او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد
فى بعضها خلاف ما هى عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف
اليه فيهلك من حيث لا يدرى ويسقط فى هوة الدرك الاسفل
من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه
دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين
راياه ليلاً وهو معتكف فى المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية
ثم قال لهما ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وانى
خشيت ان يقذف فى قلوبكما شيئاً فتهلكا هذه اكرمك الله احدى
فوائد ما تكلمنا عليه فى هذه الفصول ولعل جاهلاً لا يعلم بجهله
اذا سمع شيئاً منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم
وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التى
ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها فى اصول الفقه ويبنى
عليها مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفى
الفقهاء فى عدة منها وهى الحكم فى اقوال النبى صلى الله عليه وسلم
وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد
من بنائه على صدق النبى صلى الله عليه وسلم فى اخباره وبلاغه

وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمتهم من المخالفة في افعاله عمداً
وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل
بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة
يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم
شيئاً من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع
عليهم وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتوى في ذلك
ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على
سفك دم مسلم حرام او يسقط حقاً ويضيع حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
ولسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة الفقهاء والمحققين
في عصمة الملائكة. **فصل في القول في عصمة الملائكة** اجمع المسلمون
على ان الملائكة عليهم السلام مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين
على ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا
عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم
واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم
عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون الآية وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته الآية وبقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون

ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص
بالمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل
الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد
وتبين الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه
نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل
مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه
الى الكلام في عصمتهم **وانا اقول** ان للكلام في ذلك ما للكلام
في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام
في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به من لم يوجب
عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيهما اهل الاخبار
ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما
في خبرهما وابتلائهما **فاعلم** اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو
منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
هو شيئاً يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون
في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه
الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الآيات من
افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه **وقد** انطوت القصة
على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات
ان شاء الله تعالى فاختلف اولاً في هاروت وماروت هل هما ملكان

اوانسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين
او ملكين وهل ما في قوله تعالى وما انزل وما يعلمان من احد نافية
او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن للناس بالملكين لتعليم
السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال
الله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما
الناس له تعليم انذار اى يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا
فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا
فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي
لغيرهما فتنة وعن ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت
وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرء
بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد
على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما
ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان
من الله تعالى وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر
المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية
وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما قال مكي وتقدير الكلام وما كفر
سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك
اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل عليهما السلام
ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا عليه على سليمان فاكذبهم الله

في

في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل
هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقرء وما انزل على الملكين بكسر
اللام ويكون ما ايجابا على هذا وكذلك قرأة عبد الرحمن
بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان
عليهما السلام ويكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من
بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام
شاذة فمحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب
الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون
وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس
وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر
ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس
وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن
كما آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد رضي
الله عنهم قال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم
الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء وهو من
غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا
من الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا

نحو قوائم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس
في اخبار ولا اصل لها يردها صحاح الاخبار فلا تشتغل بها والله
اعلم **الباب الثالث** فيما يخصهم في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم
من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء
والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز
عليه من الآفات والتغيرات والآلام والاسقام وتجرع كأس
الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما
يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد
كتب الله تعالى على اهل هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير **فقد** مرض
عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع
والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه
الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته
وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه
فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان
والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص لها واصاب غيره من
الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا
بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من
عصمه كما عصم بعد نبينا عليه السلام من الناس فلئن لم يكف نبينا

ربه عز وجل يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند
دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه
الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس
سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من
سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه منهم مبتلى ومعافى وذلك
من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم
كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل
الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال
النصارى بعيسى بن مريم وليكون في محنهم تسلية لاممهم ووفور
لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم **قال** بعض
المحققين وهذه الطوارئ والتغيرات المذكورة انما تختص
باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني
آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة
منه متعلقة بالملأ الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي
منهم **قال** وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال
لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه
بخلاف جسمه وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره من ضعف
وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر

فحكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو
عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء
في بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه
يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف جسمه وخارت
قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه
ذلك وانه بخلافهم بقوله اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني قال القاضي رحمه الله وكذلك اقول انه عليه السلام
في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على
باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به
كما يعتري غيره من البشر مما ناخذ بعد في بيانه فصل فان قلت
فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد
العتابي بقراءتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف
ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبيد بن اسمعيل قال
ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله
عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه
فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان
ياتي النساء ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر
على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه
وهو معصوم اعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه

وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها
على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي
صلى الله عليه وسلم عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض
وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح
في نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله
فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته
او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا
وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها
ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير
بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان
وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر من قوله حتى يخيل
اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن وقد قال سفيان رضي الله عنه وهذا
اشد ما يكون من السحر ولم يات في خبر منها انه نقل عنه في ذلك
قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر
وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله
وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد
واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا
الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم
وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل اجلى وابعد

من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو
ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير
وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم
دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروى نحوه عن الواقدي
وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني
عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي
الله عنها سنة فبينما هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه
والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن
سعد عن ابن عباس رضي الله عنهم مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر
القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر
انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه
انما اثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه واضعف
جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن
اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن
اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ
واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون

من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى انه ليخيل
اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث
فيظن انه رأى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من
غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره
لا لشيء طرأ عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من
اصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض
انسا **فصل** هذا حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن
نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد
منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون
منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان
ابن العاص وغير واحد سماعا وقراءة قالوا ثنا ابو العباس احمد بن
عمر قال ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد بن عمرويه ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري
قالوا ثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ثنا ابو النجاشي ثنا رافع بن
خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون
النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا
فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء
من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر وفي
حديث انس رضي الله عنه انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث اخر انما

ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس رضي الله
عنهما في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر
فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر
اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور
الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع
شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل
بادنى مياه بدر قال له الحباب ابن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا
ان نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب
والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى ناتي ادنى ماء من القوم فننزله
ثم نعور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت
بالراي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى وشاورهم في الامر واراد
مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه
برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها
لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه اذ ليس
في هذا كله نقيصة ولا محطة له وانما هي امور اعتيادية يعرفها من
جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون
القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال
بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور
الدنيوية ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا

واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل
عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا ودقائق
مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا
عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل** واما ما يعتقد في
امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق
من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام
انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع منه فمن قضيت له من
حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا
الفقيه ابو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا
ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا محمد ابن كثير اخبرنا سفيان
عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية
الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه
صادق فاقضي له ويجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب
غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه
ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى
لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى
الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين

او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله
واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره
الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت
حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع
عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله
بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا مما لا يعلمه الامة فاجرى الله
احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم
اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتوه ما اتوا
من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول
وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر
اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر
والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه
وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فيعلمه منه بما يشاء ويستأثر بما يشاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم
عروة من عصمته **فصل** واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله
واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه
في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضا او غضب
وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله

الصدق

الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز
وروده منه ع م في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته
عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته
ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا
في تحبيبهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة
التي سألته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق
لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام
اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه
غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح
منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء
وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له
خائنة الاعين فكيف ان تكون له خيانة القلب فان قلت فما معنى
اذا قوله تعالى له عليه السلام في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله
مبديه الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب
تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه
اهل التفسير عن علي بن الحسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه صلى الله عليه
وسلم ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له

امسك عليك ذوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله
به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق
زيد لها وروى نحوه عمرو بن فايد عن الزهرى قال نزل جبريل
عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب
بنت جحش فذلك الذى اخفى فى نفسه ويصحح هذا قول المفسرين
فى قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اى لابد لك ان تتزوجها
ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذى
اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى فى القصة ما كان
على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه
حرج فى الامر قال الطبرى ما كان ليؤثم نبيه فيما احل له مثال فعله
لمن قبله من الرسل قال الله سنة الله فى الذين خلوا من قبل اى
من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روى فى حديث قتاده رضى الله
عنه من وقوعها من قلب النبى صلى الله عليه وسلم عندما اعجبته ومحبته
طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه
لما نهى عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم
الذى لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال القشيرى
وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبى صلى الله عليه
وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهى بنت عمته ولم يزل
يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو

ذوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبى صلى
الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى وابطال سنته كما قال
ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج
فى ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندى
رحمه الله فان قيل فما الفائدة فى امر النبى صلى الله عليه وسلم لزيد
بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبى صلى الله عليه
وسلم عن طلاقها اذ لم يكن بينهما الفة واخفى فى نفسه ما اعلمه الله
به فلما طلقها زيد خشى قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره
الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على
المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وقد
قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها
وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة
فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة
معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك
الزيادات التى فى القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن على بن حسين
رضى الله عنهما وحكاه السمرقندى وهو قول ابن عطاء وصححه القاضى
القشيرى وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند
المحققين من اهل التفسير قال والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عن
استعمال النفاق فى ذلك واظهار خلاف ما فى نفسه وقد نزهه الله

تعالى عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال
ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطأ خطاء بيناً قال
وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اي يستحيي منهم
ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس
كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج
زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا
ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعات رضا ازواجه
في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية وكذلك قوله
هنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن
وعائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئاً من الوحي لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه شيئاً

فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع
احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو
ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى
الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو
علي رحمه الله قال ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو
الهيثم وابو اسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن
عبد الله ثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن
عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما حضر رسول الله صلى الله

عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هلموا اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني
اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي ابداً فتنازعوا فقالوا ما له اهجر
استفهموه فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوني فان الذي انا
فيه خير وفي بعض طرقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يهجر
وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجراً وفيه فقال عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا
وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت
واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتاباً ومنهم من يقول ما قال عمر رضي الله عنه قال ائمتنا
رحمهم الله في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من
الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه
مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك
ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان
او اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى
في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجراً اذا هذى واهجر
هجراً اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر
على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح

البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي
حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه
في كتابه وغيره من هذا الطريق وكذا رويناه عن مسلم في
حديث سفيان وعن غيره وقد يحمل عليه رواية من رواه هجر
على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر او ان يحمل قول القائل
هجر او اهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال
الرسول صلى الله عليه وسلم في مرضه وشدة وجعه وهول المقام
الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم نضبط هذا
القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه
يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله
يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجر وهي رواية
ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من
رواية قتيبة رضي الله عنهم فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين
عنه صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر
بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام بان يأتوه بالكتاب فقال
بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها
بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا

انه لم يكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم
يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن
عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر رضي الله عنه
ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر رضي الله عنه اما اشفاقا
على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب
وان يدخل عليه مشقة في ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
اشتد به الوجع وقيل خشي عمر رضي الله عنه ان يكتب امورا يعجزون
عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى ان الأرفق بالامة
في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون
المصيب والمخطئ مأجورا وقد علم عمر رضي الله عنه تقرر الشرع
وتأسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم الآية وقوله
عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر رضي الله
عنه حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه
مرض لما كتب في ذلك اليوم في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل
كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من النبي صلى
الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك
ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه

ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي رضي الله عنهما انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله عليه السلام دعوني فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي **حدثناه** الفقيه ابو محمد الخشني بقراتي عليه ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابراهيم ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين **قال** سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن آذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكوة وصلوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن او يسبه او يجلده او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله **فاعلم** شرح الله صدرك ان قوله عليه السلام

اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم النبي عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام له لشفقته على امته ورافته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه ولعنه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته **وقد** ورد في صفته عليه السلام في غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا **وقال** انس رضي الله عنه لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول

لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا
المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة
فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له ذكوة ورحمة
وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه
من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل
دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك تسوءالا منه لربه
جل جلاله لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له
كفارة لما اصابه وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته له في الدنيا
سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب من
ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير
وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الانصاري في شراج
الحرة اسق يا زبير حتى تبلغ الكعبين فقال له الانصاري أن كان
ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي
صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة
امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار
للزبير على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك
الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير
حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام

بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون
هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم
في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي
القاضي وهو غضبان فانه في حال حكمه في حال الغضب والرضا
سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث
في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعد حمله الغضب عليه بل وقع
في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا
ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فوقع علي فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اعيذك يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي حين طلب
عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته
مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك
حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام
لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق
اذ كان حظ نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن
عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال عليه السلام

ودرّش وردّش خطّ حطّ وغشينى بقضيب فى يده فى بطنى فاوجعنى
قلت القصاص يا رسول الله فكشف لى عن بطنه انما ضربه النبى
عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه
فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه فصل واما
افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقى المعاصى والمكروه
ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط فى بعضها ما ذكرناه وكله غير
قادح فى النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد
والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على
ما بيناه اذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه الا ضرورته
وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التى بها يعبد ربه ويقيم شريعته
ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين
معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه
او تألف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق
بصالح اعماله منتظم فى زاكى وظايف عباداته وقد كان يخالف فى
افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها
فيركب فى تصرفه لما قرب الحمار وفى اسفاره الراحلة ويركب
البغلة فى معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها
ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك فى لباسه وساير احواله
بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور

الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان
قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله
غيره خيرا منه وقد يفعل هذا فى الامور الدينية مما له الخيرة
فى احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها
وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم موالفة
لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول
الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء فى الحديث وتركه بناء
الكعبة على قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش
وتعظيمهم لتغيرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم
عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة رضى الله عنها فى الحديث الصحيح
لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل
الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه
بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امرى
ما استدبرت ما سقت الهدى ويبسط وجهه للكافر والعدو
رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس
من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغايب ليحبب اليه شريعته
ودين ربه ويتولى فى منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت
فى ملائه حتى لا يبدو منه شىء من اطرافه وحتى كان على رؤس
جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون

منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله
لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه
بقول ما كان لنبي ان يكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى
قوله لعائشة رضي الله عنها في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما
دخل عليه الان له القول وضحك معه فلما خرج سألته عن ذلك
قال ان من شر الناس من اتقاه الناس بشره وكيف جاز
ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب
ان فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن
ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك
الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا
الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموال الله العريضة
فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق
الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله عليه السلام فيه
بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن
لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان
مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن
بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين
في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل
الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة رضي الله

عنها وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون
لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم
الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون
شروطا ليست في كتاب الله عز وجل كل شرط ليس
في كتاب الله عز وجل فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم
قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما
باعوها من عائشة رضي الله عنها كما لم يبيعوها قبل حتى
شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم
الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه
وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله
اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها
فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم
اللعنة وقال وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء
لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم
من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله
عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى
التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله
عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي

فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ
النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل
هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء اى اظهري
لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد
هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم
منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل
السقاية فى رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته
فى ذلك وقوله تعالى انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك
الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى
كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك الا ان
يشاء الله الاية فاذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا
فان يوسف كان اعلم اخاه بانى انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى
عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة
السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون
فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل قائله ان
حسن له التاويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل
قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان
نقول الانبياء ما لم يات انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم
الاعتذار عن زلات غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة فى اجراء الامراض

وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه
فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب
ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف
وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤهم
فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها
صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال تعالى لهم لننظر كيف
تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلو اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة
فى مكانتهم ورفعة فى درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر
والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع
منهم وتاكيدا لبصائرهم فى رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين
وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا فى البلاء بهم ويتسلوا
فى المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم فى الصبر ومحو لهنات فرطت
منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون
اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضى ابو على الحافظ
ثنا ابو الحسين الصيرفى وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى
البغدادى قال ثنا ابو على السنجى ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى
الترمذى ثنا قتيبة ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن

سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء
قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح
البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة وقال الله
تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات الثلاث وعن
ابي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه
وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس رضي الله
عنه عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة
في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى
يوافي به يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه
ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى
كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي
عن لقمان انه قال لابنه يا بني الذهب والفضة تختبران بالنار
والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف
عليهما السلام كان سببه التفاته اليه في الصلاة ويوسف نائم
محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي
وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت
جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب
يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت
عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي

على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند ال يعقوب وعوقب
يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي عن الليث ان سبب
بلاء ايوب عليه السلام انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه
في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه
الله ببلائه ومحنة سليمان عليه السلام لما ذكرناه من نيته
في كون الحق في جنبة اصهاره والعمل بالمعصية في داره ولا علم
عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه
وسلم قالت عائشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال
اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر
مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع
يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك
من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا
البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر
وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس رضي
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان
الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط
وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى

بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروى هذا عن عائشة رضي الله
عنها وابي ومجاهد رضي الله عنها وقال ابو هريرة رضي الله عنه
عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية
عائشة رضي الله عنها ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه
حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد رضي الله عنه ما يصيب
المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم
حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن
مسعود رضي الله عنه ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه
كما تحات ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم
وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم
فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات
بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاة واخذه
كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة
والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها
الرياح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من حيث
اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء
ومثل الكافر كمثل الارزة صما معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن
مرزا مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع
لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها

للرياح

للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله
عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع
عند سكون رياح الجو رجع المؤمن من مقام صبره الى شكر ربه
ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا
كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت
عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة ما له
فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي
المرض وشدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتنع
بصحة جسمه كالارزة الصما حتى اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة
واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة
ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا
ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال الله تعالى
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
الاية ففجا جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد
بغتة ولهذا ما كره عن السلف رضي الله عنهم موت الفجاة ومنه
في حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب
يريد موت الفجاة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر
شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم

تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد
ويكون قلبه معلقاً بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل
الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه
من وصية فيمن يخلفه او امر يعهد وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم
المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن
كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن
من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى
بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب
كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده
ثم رأى الامساك عنه افضل وخيراً وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين
واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالباً الكفار لامهال الله تعالى
لهم ليزدادوا اثماً وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى
ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال عليه السلام في رجل مات
فجأة سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت
الفجأة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر او الفاجر وذلك لان
الموت يأتي المؤمن وهو غالباً مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه
كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال
عليه السلام مستريح ومستراح منه وتأتي الكافر والفاجر

منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة
بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه
واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من
احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه
عليه السلام قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من
الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله
عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب
هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل منتقصه
من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً وقال والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً ان ذلكم
كان عند الله عظيماً وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك
ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع
منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين
عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها

الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها
من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما
فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه
انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو هذا عليه السلام واجب
الرعاية بكل حال وهو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال
تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان
صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك
انما دعوت هذا فنهى عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة
غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة
الى اذاه والازدراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا
لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى
عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا
على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا
الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور
والصواب ان شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى
سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم وكذلك لم ينه عن اسمه
لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله

ويا نبي الله وقد يدعونه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال
وقد روى انس رضي الله عنه عنه عليه السلام ما يدل على كراهة
التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم
محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر رضي الله عنه كتب الى اهل
الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم وحكاه ابو جعفر
الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه
ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن
زيد بن الخطاب لا ارى محمدا يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت
حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء
الانبياء عليهم السلام اكراما لهم بذلك وغير اسماء جماعة تسموا
باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام
بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه
بابي القاسم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك
لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي
وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن
حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان
يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا
القسم على بابين كما قدمناه الباب الاول في بيان ما هو في حقه صلى
الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض او نص قال القاضي

ابو الفضل رحمه الله اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب
النبى صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا فى نفسه او نسبه
او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشئ على طريق
السب له او الازدراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه او العيب
له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه تفصيلا ولا نستثنى
فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمترى فيه تصريحا
كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له
او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث فى جهته
العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره
بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض
البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة
الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الى هلم جرا قال
ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبى صلى الله
عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق
وهو مذهب الشافعى قال القاضى ابو الفضل رحمه الله وهو مقتضى
قول ابى بكر الصديق ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة
واصحابه والثورى واهل الكوفة والاوزاعى رحمهم الله فى المسلم لكنهم
قالوا هى ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبرى
مثله عن ابى حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ

منه

منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى
هذا وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر
كما سنبينه فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا فى استباحة
دمه بين علماء الامصار وسلف الائمة وقد ذكر غير واحد
الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو
ابو محمد على بن احمد الفارسى الى الخلاف فى تكفير المستخف به والمعروف
ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء على ان شاتم النبى
صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب
الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك فى كفره وعذابه
فقد كفر واحتج ابراهيم بن حسين ابن خالد الفقيه فى مثل هذا
بقتل خالد بن الوليد مالك ابن نويرة لقوله عن النبى صلى الله عليه
وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين
اختلف فى وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك
فى كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك
فى كتاب ابن حبيب من سب النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين
قتل ولم يستتب وقال ابن القاسم فى العتبية او شتمه او عابه
او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض
الله توقيره وبره وفى المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبى
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام

محبرة في صاحب حياً او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي
اويس قالا سمعنا مالكاً يقول من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلماً كان او كافراً ولا يستتاب
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله
عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال
اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان
توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري
مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال
ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله
عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء
على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه
انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي
صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن
ابي زيد بقتل رجل سمع قوماً يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه
وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون
صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته
وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن
ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم

كان

كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر
كلاماً قبيحاً فقيل له ما تقول يا عدو الله في حق رسول الله فقال
اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب
فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك
يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء التأويل
في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو
عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل ادّ واشك الى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي صلى الله
عليه وسلم بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه
الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله
عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة
وزعمه ان زهده عليه السلام لم يكن قصداً ولو قدر على الطيبات
اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون
بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعراً متفنناً في كثير من العلوم
وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة
فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله
وانبيائه ونبينا عليهم السلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر

وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب
منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما
دفعت خشبته وزالت عنها الايدى استدارت وحولته عن
القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ فى دمه فقال
يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا
عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب فى دم مسلم وقال
القاضى ابو عبد الله ابن المرابط من قال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز
ذلك عليه فى خاصته عليه السلام اذ هو على بصيرة من امره
ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروى مذهب مالك
واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون
استتابه وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد
النبى صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل
فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب
قتل قائله لم يختلف فى ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا
فى حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من
غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه
من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه
او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى

من مذاهب العلماء فى ذلك وياتى ما يدل عليه **فصل فى**
الحجة فى ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام فمن القرآن
لعنه تعالى لموذيه فى الدنيا والآخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف
فى قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله
الاية وقال فى قاتل المومن مثل ذلك فمن لعنته فى الدنيا القتل
قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال
فى المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزى فى الدنيا وقد يقع القتل
بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله انى يوفكون
اى لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما وبين اذى المومنين
وفى اذى المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان
حكم موذى الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى
فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب
اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له
ومن ينقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبى الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط
العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاءوك حيوك
بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال
تعالى ومنهم الذين يوذون النبى ويقولون هو اذن ثم قال

والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن
سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم
قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه
وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا الشيخ ابو
عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي
اجازة قال ثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيوية قالا
ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة
ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن
جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن
ابيه رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث
الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله
من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه
من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل
باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك
قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه
اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث آخر
ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال

قال

خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل جماعة
ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة
بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا
الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر
قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد
الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل من يكفيني عدوي
فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروى ايضا ان امرأة كانت
تسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن
الوليد فقتلها وروى ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم
فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول
فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ
المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر الصديق رضي الله عنه ان
امرأة هنالك في الردة غنت بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقطع يدها ونزع ثنيتيها فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت
لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن
عباس رضي الله عنهما هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم

فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه
وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في
النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه وسبته فقتلها واعلم النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت
يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل
من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث
انه سب ابا بكر وروى النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل
فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب
عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل
الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم
بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز
الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي
الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرء مسلم بسب احد من
الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه
فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا في رجل شتم النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب

مالك وقال يا امير المومنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها صلى الله
عليه وسلم من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل رحمه الله كذا وقع في هذه
الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومولفي
اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق
الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به
هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو
سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك
على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله
من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام
فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره
ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن
مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول
الاخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان
يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله
اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم
فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر
ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله

ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل
التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير
وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك
يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد
قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستتراً به ان حكمه حكم الزنديق
يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا
عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته
وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام
القتل لتعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل فان قلت فلم
لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم
وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد
بها وجه الله وقد تاذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي
موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه
في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اول الاسلام يستالف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب
اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم
ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا واسكنوا
ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمداً يقتل اصحابه وكان
صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي

عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم
الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك
امره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا
منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وذلك لحاجة الناس للتالف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه
فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر
امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه
قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك
صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه
كابن الاشرف وابي رافع والنضر بن الحارث وعقبة بن ابي
معيط وكذلك هدر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن
الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين
وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر
واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله
ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام
وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو
العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطناً كما فاء ظاهراً واخلص

سرًّا كما اظهروه جهرًا ونفع الله بعد بكثيرٍ منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع اليه وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبيٍّ وعبدٍ او امرأةٍ والدماء لا يستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف بهتت عليه عائشة رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليًّا بالسنتهم وطعنًا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم فكذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرًّا وباطنًا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان احدهم من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من منهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر

ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحدٍ ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبًا الى مالك بن انسٍ رحمه الله ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدًا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلًا سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبًّا وراى انه من الاذى الذي يجوز له العفو عنه

والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا
السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من
الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم
والسام والسآمة الملال والملالة وهذا دعاء على سآمة الدين
وليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض
الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا
وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه
عليه السلام سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا
الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان
هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب
الادلة للامر المحتمل والاولى في هذا كله والاظهر من هذه الوجوه
مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك
ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج
للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه
قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحرهم وسمه وهو اعظم من سبه
الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من
صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء
واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم

بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف
المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم
لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت
فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة انه عليه السلام ما انتقم
لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم
لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او آذاه او كذبه
فان هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له
فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس
او المال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب
من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي
بردائه حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي
شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر
زوجتيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض
علمائنا ان اذى النبي عليه السلام حرام لا يجوز بفعل مباح
ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح مما لا يجوز
للانسان فعله وان تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين
يؤذون الله ورسوله وبقوله عليه السلام في حديث فاطمة
انها بضعة مني يؤذيني ما آذاها الا واني لا احرم ما احل الله
ولكن لا تجمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل ابدا وكون

هذا مما اذاه به كافر وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن
اليهودى الذى سحره وعن الاعرابى الذى اراد قتله وعن
اليهودية التى سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من
اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف
غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق **فصل** تقدم الكلام
فى قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باى وجه كان من
ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثانى لاحق به
فى البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال فى جهته عليه السلام
غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم فى جهته
عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة
ما لا يجوز عليه او نفى ما يجب له مما هو فى حقه عليه السلام نقيصة
مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة فى تبليغ الرسالة
او فى حكم بين الناس او يغض من رتبته او شرف نسبه او وفور
علمه او زهده او يكذب بما اشتهر عنه من امور اخبر بها عليه
السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتى بسفه من
القول وقبيح من الكلام ونوع من السب فى جهته وان ظهر
بدليل حاله انه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على
ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط
للسانه وعجرفة وتهور فى كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول

القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد فى الكفر بالجهالة ولا بدعوى
زلل اللسان ولا بشىء مما ذكرناه اذا كان عقله فى فطرته
سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون
على ابن حاتم فى نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذى قدمناه وقال محمد بن سحنون فى المأسور يسب النبى
صلى الله عليه وسلم فى ايدى العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه
وعن ابى محمد بن ابى زيد لا يعذر احد بدعوى زلل اللسان
فى مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسى فيمن شتم النبى صلى الله
عليه وسلم فى سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله
فى صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل
وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم
من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون
بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود
ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم
وهل انتم الا عبيد لابى قال فعرف النبى صلى الله عليه وسلم انه
هو ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن
فى جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من
النوم وشرب الدواء المأمون **فصل** الوجه الثالث ان يقصد
الى تكذيبه عليه السلام فيما قاله واتى به او ينفى نبوته او رسا

او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا
فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك
كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول
الاخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم
ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان
مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما
سنبينه قال ابو ح واصحابه رحمهم الله من برئ من محمد او كذب به
فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا
قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما
هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه
وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن
بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم
انه يوحى اليه وقاله سحنون قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا
وقال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على
الله وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس
او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب
والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي
بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال
محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو

كافر

كافر جاحد وقال سحنون من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان
حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام
باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد وقال لو قال انه مات قبل
ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا
نفي وقال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له
كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل الوجه الرابع

ان يأتي من الكلام بمجمل او يلفظ من القول
بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او على غيره او يتردد
في المراد به من سلامته من المكروه او شره فههنا متردد النظر
وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل
ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول
وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه
فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة
الذين يصلون عليه قال سحنون لا اذا كان على ما وصفت
من الغضب لانه لم يكن مضمرا للشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ

بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه
لم يقذفهم بالغضب فى شتم النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى شتم الملائكة
ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل على شتم
النبى صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة
يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء
لاجل قول الآخر له صل على النبى فحمل قوله وسبه لمن يصلى عليه الآن
لاجل امر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق
لعلة صاحبيه وذهب الحارث ابن مسكين القاضى وغيره فى مثل
هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسى فى قتل رجل قال كل
صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود
والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده
هل اراد اصحاب الفنادق الآن فمعلوم اذ ليس فيهم نبى مرسل فيكون
امرهم اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من
المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل
من اكتسب المال قال القابسى ودم المسلم لا تقدم عليه الا بامر بين
وما ترد اليه التاويلات لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه
وحكى عن ابى محمد بن ابى زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن
الله بنى اسرائيل ولعن الله بنى آدم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما
اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان

وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم
من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن من جاء به
انه اذا كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب
الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله
تعالى ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو
فتوى سحنون واصحابه فى المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجرى
فى كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير
ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل
فى مثل هذا العدد من آبائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل
بعض هذا العدد منقطع الى آدم عليه السلام فينبغى الزجر عنه
وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد
سب من فى آبائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول
فى نحو هذا لو قال لرجل هاشمى لعن الله بنى هاشم وقال اردت
الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم قولا
قبيحا فى آبائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبى
صلى الله عليه وسلم ولم يكن قرينة فى المسئلتين تقتضى تخصيص
بعض آبائه واخراج النبى صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد
رايت لابى موسى ابن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم
عليه السلام انه اذا ثبت ذلك عليه قتل قال القاضى ابو الفضل رحمه

الله وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء
ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان
شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان
القاضي ابو محمد بن المنصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان
يكون خبراً عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد
الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال
سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة
بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا
عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلاً اسمه محمد ثم
قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون
قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى
عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة
باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه **فصل الوجه الخامس** ان
لا يقصد نقصاً ولا يذكر عيباً ولا سباً لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه
او يستشهد ببعض احواله الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب
المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته
او غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على
مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او على سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه
صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل

في السوء فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان
اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم تسلم منهم
انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم او كصبر
ايوب عليه السلام او قد صبر نبي الله من عداه وحلم على اكثر مما
صبرت وكقول المتنبي شعر انا في امة تداركها الله . غريب كصالح
في ثمود . ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين
في الكلام كقول المعري شعر كنت موسى وافته بنت شعيب
غير ان ليس فيكما من فقير . على ان آخر البيت شديد وداخل في باب
الازراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه
وكذلك قوله شعر لولا انقطاع الوحي بعد محمد . قلنا محمد من ابيه
بديل . هو مثله في الفضل الا انه . لم يأته برسالة جبريل . فصدر
البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي
صلى الله عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة
نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول
الآخر شعر واذا ما رفعت راياته . صفقت بين جناحي جبريل .
وقول الآخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا . فصبر الله
قلب رضوان . وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس
في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون شعر
كان ابا بكر ابو بكر الرضى . وحسان حسان وانت محمد . الى امثال

هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعرف
امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك
واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر
وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله
عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا
ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما
عن هذا الحد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا
عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته
فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء
نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء
وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء
ولا عزر حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة
قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اعلاء في وصف
لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره
وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ
عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه
على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به
وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله شعر فان يك باقي سحر فرعون

فيكم ٭ فان عصا موسى بكف خصيب ٭ وقال له يا ابن اللخناء
انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته
وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله
في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال
شعر تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ٭ خلقا وخلقا كما قد الشراكان
٭ وقد انكروا عليه ايضا قوله في ممدوحه شعر كيف لا يدنيك
من امل ٭ من رسول الله من نفره ٭ لان حق الرسول
موجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم
في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت
فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه رحمهم الله ففي النوادر
من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال
تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك
رحمه الله قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى
ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد
اخطأت الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا
كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله
عليه وسلم كافرا فقال قد جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي
ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب
الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله

وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس
كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شي اراد بهذا ونكير احد
فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين
راه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا
فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة
وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب
وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك
خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الاخر
الا ان يكون المعبس له ممن له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل
على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع
لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان
ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج
بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا
ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف
بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب
اليس كان النبي اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق
الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق
الكفر عليه فخطا لكنه مخطي في استشهاده بصفة النبي صلى الله
عليه وسلم وكون النبي اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة له وجهالة

ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر
وتاب واعترف ولجا الى الله تعالى فيترك لان قوله لا ينتهي به الى
حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب
الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة
الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل
تنقصه رجل اخر بشي فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر
وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة
سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس
افتى بقتله **فصل الوجه السادس** ان يقول القائل ذلك حاكيا
عن غيره واثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وفي
قرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه
الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه
الشهادة والتعريف بقائله والانكار عليه والاعلام بقوله
والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك
ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله
والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات
الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان
يؤخذ العلم عنه او رواية الحديث او يقطع بحكمه او بشهادته
او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه

والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه
ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع
ضرره من المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان
كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته
لا يؤمن على القاء ذلك فى قلوبهم فيتاكد فى هؤلاء الايجاب لحق
النبى صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه
السبيل فالقيام بحق النبى صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه
متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا
قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط
عن الباقى الفرض وبقى الاستحباب فى تكثير الشهادة وعضد
التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم فى الحديث فكيف
بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابى زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا
فى حق الله ايسعه ان لا يؤدى شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم
بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به
ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة
لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا فى الباب
فليس التفكه بعرض النبى صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره
لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعى بمباح واما الاغراض
المتقدمة فتتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات

المفترين عليه وعلى رسله فى كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير
من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا فى محكم
كتابه وكذلك وقع من امثاله فى احاديث النبى صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة
الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين فى كتبهم ومجالسهم
ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل
انكار لبعض هذا على الحارث ابن اسد فقد صنع احمد مثله فى رده
على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها
فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه
الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم
فى الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض
فى قيل وقال وما لا يعنى فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى المنع والعقوبة
من بعض فما كان من قائله الحاكى له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه
او لم يكن عادته او لم يكن الكلام المحكى من البشاعة حيث هو ولم يظهر
على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهى عن العودة اليه
وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة
حيث هو كان الادب اشد وقد حكى ان رجلا سأل مالكا عمن
يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته
عن غيرى فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله

على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم
هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك
عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف
له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه
فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره
فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن
سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو
كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم
رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه وقرائته وتركه متى
وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد
اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا
روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه
الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذ المفتري عليه بذنبه وهذا
ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى
الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم
المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد
بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله
عليه وسلم **فصل الوجه السابع** ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله
عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية

به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله
على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء
حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة
عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة
ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج
عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء
ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن
يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين
ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك الكلام من عساه
لا يفقهه او يخشى به فتنته فقد كره بعض المشايخ تعليم النساء سورة
يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن
ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه
باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى
الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة
فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك في الانبياء حكمة
بالغة وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته وتدريبهم برعايتها لسياسة
اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك
قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له

فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب
من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة
على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله بعد هذا على صناديد العرب
ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن
من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثيرة من الامم غيرهم باظهار
الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين
لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا
قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم
قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم
من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة
وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد
المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به
فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى
من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم
مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه من قسم
الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس
ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك
نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها

وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب والامية في غيره
نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من
باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه
وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته
كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن عداه
منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي
من اخباره وسيره وماثره وتقلله من الدنيا ومن الملبس
والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة
بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها
لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله وماثره
وشرفه كما ذكرناه فمن اورد منها شيئا موردها وقصد بها
مقصدها كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه
بذلك سوء قصد لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد
من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث
مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال ويحتاج
الى تأويل وتردد واحتمال فلا يجب ان يحدث منها الا بالصحيح
ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره
التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى

وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان
يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك
الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي
عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام
فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب
يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه
واستعارته وبليغه وايجازه فلم يكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت
عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها
وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها
وتلويحها فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم
من آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
ان لا يذكر منها شيء في حق الله ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف
الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر
على وجه التعريف بانها ضعيفة المقاد واهية الاسناد وقد انكر
الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث
ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين
يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها
التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس
واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس

فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا
على طريق المذاكرة والتعليم ان يلزم في كلامه عند ذكره عليه
السلام وذكر تلك الاحوال الواجب توقيره وتعظيمه ويراقب
حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه علامات الادب عند ذكره
فاذا ذكر المتكلم ما قاساه من الشدائد ظهر عليه علامات
الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي
صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنه واذا اخذ
في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام
تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك
وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم
في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف
ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارات ويتجنب لفظة الكذب
جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم
وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى
اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال
قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة
الصغائر فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب
او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام

وما يجب له من تعزيز واعظام وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ
من هذا فقبح منه ما صدر عنه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت
بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع
عليه بما ياباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس
مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم واستعماله
في حقه عليه السلام اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح
الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا
قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي
عنه والتنزيه له عليه السلام فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها
فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور
في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره
عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف يظهر
عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني
وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القران حكى الله
فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان
يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا على نفسه
حذرا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه

ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته وقد
قدمنا ما هو سب او اذى في حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء
على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه على
ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب
مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا
ان اظهر التوبة منه ولهذا لا يقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر
الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة
عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب
لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي
رحمه الله تعالى اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل
بالسب اذ هو حده وقال محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى مثله واما
ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون رحمه الله تعالى
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل
توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى
القاضي ابو الحسن بن القصار رحمه الله تعالى في ذلك قولين قال
من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه
فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال
اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا على باطنه بخلاف
من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قول
اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها

الخلاف على الأصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه
وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق
اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل
توبته وعند الشافعي تقبل ويختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف
رحمة الله على جميعهم وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه انه يستتاب قال ابن سحنون رحمه الله تعا ولم يزل القتل
عن المسلم بالتوبة من سبه عليه الصلوة والسلام لانه لم ينتقل
من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد
كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد
بن نصر رحمه الله تعالى محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه
وبين من سب الله تعا على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله
عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعا
بنبوته والباري تعا وتقدس منزه عن جميع المعايب قطعا وليس
بجنس فتلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه الصلوة والسلام كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق
فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم
تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان
توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا
قبلت لا تسقط ذنوبه من زنى او سرقة وغيرها ولم يقتل ساب

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن بمعنى يرجع الى تعظيم حرمته
وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعا يريد والله اعلم لان سبه صلى الله عليه
وسلم لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازدراء والاستخفاف
او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا
والله تعا اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران
القابسي رحمه الله تعا من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الآدميين التي
لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله
حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن
مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من
اهل العلم رحمهم الله تعا فقد صرحوا به انه ردة قالوا ويستتاب
منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا
الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط
الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه
حدا وانما يقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه
واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فيقتله حدا لثبات كلمة الكفر
عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله تعا
من حقه صلى الله عليه وسلم واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك

حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون
عليه الكفر وتشهدون عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه
بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر
فى القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره
ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلة ومعصية وانه
مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر
على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة
واما من علم انه سبه صلى الله عليه وسلم معتقدا لاستحلاله فلا شك
فى كفره بذلك وكذلك ان كان سبه فى نفسه كفرا كتكذيبه
او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا
لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره
بعد الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من
لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله
وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه عليه الصلوة والسلام
يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء
رحمهم الله تعالى ونزل مختلف عباراتهم فى الاحتجاج عليها واجر اختلافهم
فى الوراثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى

فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح منه فالاختلاف فيها على الاختلاف
فى توبة المرتد اذ لا فرق بينهما وقد اختلف فى وجوبها وصورتها

ومدتها فذهب جمهور اهل العلم رحمهم الله تعالى الى ان المرتد
يستتاب وحكى ابن القصار رحمه الله تعالى انه اجماع من الصحابة
رضى الله عنهم على تصويب قول عمر رضى الله عنه فى الاستتابة
ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود
رضى الله عن جميعهم وبه قال عطاء بن ابى رباح والنخعى والثورى
ومالك واصحابه والاوزاعى والشافعى واحمد واسحق واصحاب
الراى رحمهم الله تعالى وذهب طاوس ومحمد بن حسن وعبيد بن
عمير والحسن فى احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد
العزيز بن ابى سلمة وذكره عن معاذ رضى الله عنه وانكره سحنون
عن معاذ وحكاه الطحاوى عن ابى يوسف رحمهما الله تعالى وهو
قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا تدرا
القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكى ايضا عن عطاء
رحمه الله تعالى ان كان ممن ولد فى الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامى وجمهور العلماء رحمهم الله تعالى على ان المرتد والمرتدة
فى ذلك سواء وروى عن على رضى الله عنه لا تقتل المرتدة
وتسترق قاله عطاء وقتادة رحمهما الله تعالى وروى عن ابن
عباس رضى الله عنهما لا يقتل النساء وبه قال ابو حنيفة رحمه
الله تعالى قال مالك رحمه الله تعالى والحر والعبد والذكر والانثى
فى ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور من العلماء وروى

عن عمر رضى الله عنه انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف
فيه عن عمر رضى الله عنه وهو احد قولى الشافعى وقول احمد
واسحق واستحسنه مالك وقال لا ياتى الاستظهار الا بخير وليس
عليه جماعة الناس وقال الشيخ ابو محمد بن ابى زيد يريد فى
الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذى اخذ به فى المرتد
قول عمر رضى الله عنه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه
كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن ابن القصار رحمه
الله فى تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب
واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الراى وروى
عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب
فقتلها وقال الشافعى رحمه الله مرة فقال ان لم يتب مكانه
قتل واستحسنه المزنى وقال الزهرى يدعى الى الاسلام ثلاث
مرات فان ابى قتل وروى عن على رضى الله عنه يستتاب شهرين
وقال النخعى يستتاب ابدا وبه اخذ الثورى ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن ابى حنيفة رحمه الله انه يستتاب ثلاث
مرات فى ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفى
كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات
فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه
عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت فى الاستتابة

تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى له من الطعام ما لا يضره وقال
اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام
وفى كتاب ابى الحسن الطابثى يوعظ فى تلك الايام ويذكر
بالجنة ويخوف بالنار وقال اصبغ واى المواضع حبس فيها
من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف
ماله اذا خيف عليه ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى
وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبى
صلى الله عليه وسلم نبهان الذى ارتد اربع مرات او خمسا قال
ابن وهب عن مالك رحمهم الله يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول
الشافعى واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل فى الرابعة
وقال اصحاب الراى ان لم يتب فى الرابعة قتل دون استتابة
وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى
يظهر خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا يعلم احدا اوجب
على المرتد فى المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك
والشافعى والكوفى رحمهم الله تعا فصل هذا حكم من ثبت عليه
ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من
لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس
او ثبت قوله ولكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك الحكم ان تاب
على القول بقبول توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه

اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها
وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز
بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال
من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى
طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو
حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به
لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف
بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي
انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية
اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى
ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد
عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن
الطويل حتى يظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان
اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق
من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم
ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد
في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال
في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي
الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة

فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما
او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره
اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن
يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما
بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع
الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي
الارشاد **فصل هذا حكم المسلم** فاما الذمي اذا صرح بسبه
او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به
فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على
هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري رحمهم الله
واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك
اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على
قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم
الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف
واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا
ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة
فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا يقتلون لكفرهم وايضا فان
ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم
والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك

سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به وورد لاصحابنا ظواهر
تقتضي الخلاف فاذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها
من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها
عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه
قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب
لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من
اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع
عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا
بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه
ولا استمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من
الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي
الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته
وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي
يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل
وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى
قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة
او احدا من الانبياء قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية

وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم
ولا لا تسلم ولكن ان اسلم وحده فذلك توبة وفي كتاب محمد اخبرنا
اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي لنا
عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر
ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر رضي الله
عنهما فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان
محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى عليهما
السلام ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله اقرهم على مثله واما
ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما
هو شيء تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال
النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح
او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك
يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال واما اذا
شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله
مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي
ان اسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم
في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة
مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم

الانبياء من اليهود او النصارى بغير الوجه الذى به كفروا
ضربت عنقه الا ان يسلم وقال محمد بن سحنون فان قيل فلم قتلته
فى سب النبى صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا
لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل
واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره
لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب
الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك فى قول قائل كذلك
ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام
من سبه من القتل كذلك لا يحصنه الذمة قال القاضى ابو الفضل
ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن
القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله ويدل على انه
خلاف ما روى عن المدنيين فى ذلك فحكى ابو المصعب الزهرى
قال اوتيت بنصرانى قال والذى اصطفى عيسى على محمد عليهما السلام
فاختلف على فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت
من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب
عن نصرانى قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم
سالنا مالكا عن نصرانى بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم
انه فى الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه
استراح الناس منه قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد

كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعنى الصمت قال ابن
كنانة فى المبسوطة من شتم النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته
وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا فى سبه قال ولقد
كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة
قال فامرنى مالك فكتبت بان يقتل وان يضرب عنقه فكتبت
ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق
بذلك وما اولاه به فكتبته بيدى بين يديه فما انكره ولا عابه
ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى
وابن لبابة فى جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية
استهلت بنفى الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد فى النبوة وبقبول
اسلامها ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتاخرين منهم
القابسى وابن الكاتب وقال ابو القاسم ابن الجلاب فى كتابه من
سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى
القاضى ابو محمد فى الذمى يسب روايتين فى درء القتل عنه باسلامه
وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه
عن الذمى اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد
القذف فحق للعباد كان ذلك لنبى او غيره فاوجب على الذمى اذا
قذف النبى صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب

عليه هل حد القذف فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وهو القتل
لزياد حرمة النبى صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل
باسلامه ويحد ثمانين. فتامله فصل فى ميراث من قتل بسب النبى
صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء فى ميراث
من قتل بسب النبى صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة
المسلمين من قبل ان شتم النبى صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر
الزندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا
بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين. ويقتل على كل
حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسى ان قتل وهو منكر للشهادة
فالحكم فى ميراثه على ما اظهر من اقراره يعنى لورثته والقتل حد
ثبت عليه ليس من الميراث فى شئ وكذلك لو اقر بالسب واظهر
التوبة لقتل اذ هو حد وحكمه فى ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام
ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك
كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن ويستر
عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابى الحسن فى المجاهر
المتمادى بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع
وهو مثل قول اصبغ وكذلك فى كتاب ابن سحنون فى الزنديق يتمادى
على قوله ومثله لابن القاسم فى العتبية ولجماعة من اصحاب مالك فى كتاب
ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد

لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذى ارتد اليه
ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات
عليه وقال ابو محمد بن ابى زيد وانما يختلف فى ميراث الزنديق
الذى يستهل بالتوبة فلا يقبل منه فاما المتمادى فلا خلاف فى انه
لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه
بينة او لم يقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم فى كتاب
ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا
مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك
ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعى
وابو ثور وابن ابى ليلى رحمهم الله واختلف فيه عن احمد رحمه الله
وقال على بن ابى طالب وابن مسعود وابن المسيب رضى الله
عنهم والحسن والشعبى وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعى
والليث واسحق وابو حنيفة رحمهم الله يرثه ورثته من المسلمين
وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه فى ارتداده فللمسلمين
وتفصيل ابى الحسن فى باقى جوابه حسن بين وهو على راى
اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولى مالك فى ميراث
الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة
فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن
مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته

وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه
لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه. وقال به ايضا جماعة من اصحابه
وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن
القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل
فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل
من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو
القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل
هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب بانه للمسلمين ليس لهم على جهة
الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه
العهد هذا معنى قوله واختصاره والله اعلم. الباب الثالث في حكم
من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبي صلى الله
عليه وسلم وازواجه وصحبه قال القاضي لا خلاف ان ساب الله
تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال
ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم
عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل
ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله بارتداده الى دين دان به
واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة
مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي

حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني
فان تابوا قبل منهم توبتهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة
وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب
وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله
تعالى فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال
يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور
واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هارون بن حبيب اخي
عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد
عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت
في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله
فافتى ابراهيم بن حسين ابن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير
لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه
عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان
القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل
في السجن والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي
فوجه من قال في ساب الله بالاستتابة انه كفر وردة محضة
لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار
الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه
ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل

اتهمناه وظننا ان لسانهم لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل
في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم يقبل توبته واذا انتقل من دين
الى دين اخر فاظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة
الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد
يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه
على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل** واما من اضاف
الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد
الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطاء المفضي الى
الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا
مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول
مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر
قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة
في عقوبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن
المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع
اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا وما رواه عن
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وجده وعمه من قولهم في القدرية
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم رحمهم
الله في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف

الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون
اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم
لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر
وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه
ومثله في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل
البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى
تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى
تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد
روى ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر
واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي
مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في
زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير
من مشرك وروى عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال
من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده اويد
او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه وقال فيمن
قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع
يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر
التنيسي عنه يقتل ولا يقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني

والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف
بقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة
الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري
واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة
وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن
المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري
وهشيم وعلي بن عاصم رحمهم الله في آخرين وهو من قول اكثر المحدثين
والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء
المضلة واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك
قالوا في حق الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روي
عنه معنى القول الاخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه وابن عمر رضي الله عنهما والحسن البصري رحمه الله وهو
رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة
والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم
ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل
القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب
ان رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في
الاموال ومصالح الدنيا وان كان ايضا قد يدخل في امر الدين

من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين
وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة
فصل في تحقيق القول في اكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب
السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء والمتأولين ممن قال
قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه
قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمين في ذلك فمنهم
من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من
اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء
والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين
ويحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى
خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب
قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب
الآخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف
قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه
والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق
وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما
قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب
قول مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي
من كفرهم بالتأويل لا يحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة

على جنتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد
وقال ايضاً نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من
المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب
فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير
وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود البارئ تعالى وقال
مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في
الطريق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي
في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له
بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج
مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب
الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين
الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ
في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام فاذا
قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله والعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها
الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث
الواردة في الباب معترضة للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر
القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسميته الرافضة بالشرك
واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء

فقد

فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بانه قد ورد
مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ
وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله
في الزنا وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان
محتملاً للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله
في الخوارج هم شر البرية وهذه صفة الكفار وقال هم شر
قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا
وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع
تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك
من قتلهم لخروجهم في المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث
نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر
عاد تشبيه للقتل وحله للقاتل لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله
يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب
عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام
يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل
في قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من
الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله
سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء
اجابه الآخر ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه

بقلوبهم ولا ينشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم
بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكيك في حاله
وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل
من هذه الامة وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ واما
تعبيرهم بفي دون من فقد اجابهم الاخرون بان العبارة بفي
لا يقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي
للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روى عن ابي ذر وعلي
وابي امامة رضي الله عنهم وغيرهم في هذا الحديث يخرج من
امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على
اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد اجاد
ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة
وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها
وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم
من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم
ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال
ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله تعالى بخلقه وتجويرا له
في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له
الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل

وبنى

وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن
من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل
فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري
الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة
للتأويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على
ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق
وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل
قول عبيد الله عن داود الاصبهاني وقال وحكى قوم عنهما انهما
قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في
طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول
الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله
ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن
لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من
هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع
على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق
دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر
لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب
النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا
من كافر **فصل في بيان ما** هو من المقالات كفر وما يتوقف

او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف
اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين
في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية
او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية
وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية
واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم
او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين
والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة
واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض
وكذلك من اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه
غير حي او غير قديم او انه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة
او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في
الازل شيئا قديما غيره او ان ثمة صانعا للعالم سواه او مدبرا
غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة
والمنجمين والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج
اليه او مكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة
والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك يقطع على كفر
من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب

بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح
وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها فيها بحسب
زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه
جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا خصوصا او احد من
الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب
كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية
من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة
والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من الرافضية وان كان
بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك
من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام
ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة
بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية
والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هولاء زعموا
ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما
كان ويكون من امور الآخرة والحشر والقيمة والجنة والنار
ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها
الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم
فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي
وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف

الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك
في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد
من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو
كافر باجماع وكذلك يكفر من ذهب مذهب بعض القدماء
في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير
والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا
خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس
بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف
ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك يكفر
من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم وبنبوة نبينا عليه السلام
ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس الذي كان
بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة
نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا او بعده
كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية
القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي
في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء
تقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين
بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه
او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة

وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع
النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها
ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه
وسلم لانه اخبر انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله
انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة
على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون
تأويل ولا تخصيص ولا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا
واجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع
نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله
على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا يكفر من دان
بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم
وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل
مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك
وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة
وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة
بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا
اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه
لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل
القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار

مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفره وامن وجه آخر
بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد
الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى
الله على رسوله وآله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون
انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام
مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب
والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها بزيهم من شد
الزنانير وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد
الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها
بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل
او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب
الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع
بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف
يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول عليه السلام ووقع
الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الصلوات الخمس
او عدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه
الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط
لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول
خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج

ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان
الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم
اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة
ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى
اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرايع عنهم وكذلك
ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال
الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على
هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد
الحرام لا ادري هل هي تلك ام غيرها ولعل الناقلين ان
النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا
فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك
وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد
بالاسلام فيقال له سبيلك ان تسئل عن هذا الذي لم تعلمه
بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصر
الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك
البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى لها
الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها
وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي
فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوة المذكورة

هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان
حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ارتاب بذلك بعد
والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر
باتفاق ولا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره
التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز
على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه
قول الرسول عليه السلام وفعله وتفسير مراد الله به ادخل
الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقرآن
وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من
انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل
الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه
وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر
الضيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب
ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك
تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم
الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله
وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القرآن
بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف

المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج
لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز
الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقرآن ومكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك
من انكر الجنة او النار او البعث والحساب والقيمة فهو كافر باجماع
للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من
اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر
والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات
روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية
وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة الموت او فناؤه محض
وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة
وكذلك يقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل
من الانبياء كما قدمناه فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار
والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي
الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او موتة
او وجود ابي بكر وعمر رضي الله عنهما او قتل عثمان رضي الله
عنه وخلافة علي رضي الله عنه مما علم بالنقل ضرورة وليس
في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار
وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام

وعباده وقعة الجهل ومحادبه على من خالقه فاما ان ضعف ذلك
من اجل تهمة الناقلين وهم المسلمين اجمع فيكفر بذلك بسريانه
الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذى
ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من
الفقهاء والنظار فى هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف
الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم
قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الاية
وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع
وذهب اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع
الذى يختص بنقله العلماء وذهب اخرون الى التوقف فى
تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره
الاجماع لانه بقوله هذا خالف اجماع السلف على احتجاجهم به
خارقا للاجماع قال القاضى ابو بكر القول عندى ان الكفر
بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه
لا يكفر احد بقول ولا راى الا ان يكون هو الجهل بالله فان
عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون على انه
لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل
قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا

باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثانى ان ياتى
فعلا او يقول قولا يخبر الله تعالى ورسوله او يجمع المسلمون
على ان ذلك الامر لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشى
الى الكنائس والبيع بالتزام الزنار مع اصحابها فى اعيادهم
او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال
فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان الذى
فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات
الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا فى ذلك كقوله ليس
بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات
الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى
عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون
من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين
كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء
ههنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابى جعفر الطبرى وغيره
وقال به ابو الحسن الاشعرى مرة وذهبت طائفة الى ان
هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعرى قال
لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا
وانما يكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء
وان النبى صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث

القائل لئن قدر الله علىّ وفى رواية فيه لعلى اضل الله ثم قال
فغفر الله له قال ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا
عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث
بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه فى القدرة على
احيائه بل فى نفس البعث الذى لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن
ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا
فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون
قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا
لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط
للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التى اذهلت لبه
فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا فى زمن الفترة وحيث ينفع مجرد
التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذى صورته
الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة فى
كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم
لعلى هدى او فى ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى
الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا
فى سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه
اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفّره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف
عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى

اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التأويل من
المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا
الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا
على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفى من القول بالمآل
الذى الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان
قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين
اختلف الناس فى اكفار اهل التأويل واذا فهمته اتضح لك
الموجب لاختلاف الناس فى ذلك والصواب ترك اكفارهم
والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام
عليهم فى قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة
عليهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ
عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم
وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمن
الصحابة وبعدهم فى التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر
ورأى الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد
منهم ميراثا ولكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفى والقتل
على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند
المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى
غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضى ابو بكر واما مسائل

الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض
والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من اكفار المتأولين فيها
اوضح اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعا ولا اجمع المسلمون
على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام
وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعا **فصل** هذا
حكم المسلم الساب لله تعا **واما** الذمي فروى عن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما في ذمي تناول من حرمة الله غير ما هو عليه
من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر رضي الله عنهما عليه بالسيف
فطلبه فهرب **وقال** مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن
القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن
القاسم الا ان يسلم **قال** في المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه
الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة
والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا
عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير
اهل الاديان الله تعا بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم
وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل
حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف
وعبد الملك مثل قول مالك **وقال** ابو محمد بن ابي زيد من سب الله

تعا بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم **وقد** ذكرنا قول
ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين
في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله
والنبي واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي
صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
بين سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا
شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا
منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق **فقال**
مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من
كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين
لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم
من قاله غيره **فصل هذا حكم من صرح** بسبه سبحانه واضافة
ما لا يليق بجلاله والهيته فاما مفترى الكذب عليه سبحانه بادعاء
الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال
ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه
فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمنا
لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل
فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب
ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره مع

علمه او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به
فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي
لا يأمن باطنه ولا يقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي
واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب
ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وان
لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب
على قبائح الافعال ويوالي ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما يؤدب
البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي
الله عنه من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث
المتنبئ وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم
كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي
قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول
بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا
توبته وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقر وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو
الحسين بن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ
قتل وقال ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله من جحد ان الله خالقه او ربه
او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب

ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو
كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقال اشهب في يهودي تنبأ
وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان
تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى
ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل
عذره وهذا على القول الآخر من انه لا يقبل توبته وقال ابو
الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب
فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر
المتلاعبين **فصل** واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ
ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف
بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض
ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا
في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد
فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه
بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية
فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص
لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة
بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر
فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد

صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى
قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول
يكفي فيه الادب ووافقهم القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال
ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم ربّ عبدناه ثم لا ننتصر له انا
اذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس
الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة
هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقها فخرج الاذن
من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل
وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت
عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاذة ما لم تكن تنقصاً
وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة
معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها
وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلاً باسمه
فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلاً او قاله على وجه سفه
فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل
عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد
انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من
سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا اعظم هذه

الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا
عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما
ذكرنا شيئاً مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول
واما ما ورد في هذا الباب من اهل الجهالة واغاليط اللسان
كقول بعض الاعراب شعر رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت
تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه
لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة
والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه
وزجره والاغلاظ له عن العودة الجهلة قال ابو سليمان
الخطابي وهذا تهور من القول والله تعالى منزه عن هذه الامور
وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه
ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به
كذا وكذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم
الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت
خيراً وقل ما يقول جزاك الله خيراً اعظاماً لاسمه تعالى ان
يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي
كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر
صفاته اجلالاً لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله
عز وجل وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب

النبي عليه السلام على الوجوه التي فصلناها والله الموفق

فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم
او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم فحكمه حكم نبينا عليه وعليهم
الصلاة والسلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
الاية وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك رحمه الله
في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او احدا منهم
او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا
ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا فاضرب
عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي
بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله وملائكته
قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي
النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحي وانما كان
النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون

وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان
النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة و
اصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا
منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي
قال لآخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم
الملك قتل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا كله فيمن
تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن
حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه
او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع
كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة
العرش المذكورين في القران من الملائكة ومن سمي فيه من
الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر
ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم يثبت
الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء
كهاروت وماروت في الملائكة وكالخضر ولقمان وذي
القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي
اهل الرس وزرادشت الذي يدعي المجوس والمؤرخون
نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه
اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة قطعا ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم

ويؤدب بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته
وفضله منهم وان لم يثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون
الاخر من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج
عليه لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس
زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في
مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل
لاهل العلم فكيف للعامة فصل واعلم ان من استخف بالقران
او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية
او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم
او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك
في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى
وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد
رحمه الله ثنا ابو علي الغساني ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن
ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هارون
ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القران كفر تؤول بمعنى
الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم من جحد اية من كتاب الله من المسلمين فقد حل

ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله
المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد
اجمع المسلمون ان القران المتلو في جميع اقطار الارض
المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول
الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام
الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع
ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف
اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي
وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل
هذا انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب عائشة رضي
الله عنها بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران قتل
اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم
موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن
سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا
ان يتوب وكذلك من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد
شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه
انه قال ان الله تعالى ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه
كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع
من ينتحل التوحيد متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل

كفر وكان ابو العالية اذا اقراء عنده رجل لم يقل له ليس
كما قرات ويقول اما انا فاقراء كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال
اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما من كفر باية من القران
فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض
القران فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن
كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا
فحلف اليهودي له بالتورية فقال الاخر لعن الله التورية فشهد
عليه بذلك شاهد ثم تشهد اخر انه ساله عن القضية فقال
اللدعن انما لعنت تورية اليهود فقال ابو الحسن الشاهد
الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة يحتمل التاويل
اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم
ولو اتفق الشاهدان على لعن التورية مجردا لضاق
التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ
المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد
لقرائته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف
وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه
بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث
وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري

وغيره

وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي
لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب
ولم ارد القران قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل
فصل وسب آل بيته وازواجه واصحابه عليه السلام وتنقصهم
حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
قال ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل قالا ثنا
ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا
محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة بن ابي رائطة
عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في
اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني
فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في اخر
الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا
تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه
السلام من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله

عليه وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه واذى النبي صلى الله
عليه وسلم حرام فقال لا توذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد
اذاني وقال عليه السلام لا توذوني في عائشة وقال في
فاطمة بضعة مني يوذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا
فمشهور مذهب مالك رحمه الله في ذلك الاجتهاد والادب الموجع
قال مالك رحمه الله من شتم النبي قتل ومن شتم اصحابه ادب
وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاص
رضي الله عنهم فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم
بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال
ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة
منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى ذلك بغض ابي بكر
وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى
يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم
وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن
ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي
رضي الله عنهم انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم
غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروى

عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عائشة رضي
الله عنها قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران
وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان
تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد كفر
وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال
ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون
سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
في اي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة رضي
الله عنها فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم
بهذا سبحانك سبح نفسه في تبرئتها تبرئتها من السوء كما سبح
نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد بقول مالك في
قتل من سب عائشة رضي الله عنها ومعنى هذا والله اعلم
ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه تعالى وما كان سبها سبا
لنبيه وقرن سب نبيه بسبه واذاه باذاه تعالى وكان
حكم موذيه تعالى القتل كان حكم موذي نبيه كذلك كما قدمناه
وشتم رجل عائشة رضي الله عنها بالكوفة فقدم الى موسى
بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا
فجلده ثمانين جلدة وحلق رأسه واسلمه في الحجامين وروى
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن

عمر

عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني
اقطع لسانه حتى لا يشتم احدا بعد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب اتي باعرابي يهجو الانصار
فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه وقال مالك من انتقص احدا
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم
الله الفيء في ثلثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم
قال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الاية وهؤلاء الانصار
ثم قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء
المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن
زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا
لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره
ولقوله عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن
قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له
فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن
قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس
هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم ولو سمعه الامام
واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة
من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل

لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والاخر انها
كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى
ابو مصعب عن مالك رحمهم الله من انتسب الى بيت النبي صلى
الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى
يظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول عليه السلام وافتى
ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امراة
بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه ما حلفت
الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو
المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب
الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو احق
باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا يقبل
فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله وقال
ابو عمران في رجل قال لو شهد على ابي بكر الصديق رضي الله
عنه انه ان كان اراد ان شهادته في مثل هذا الحكم لا يجوز
فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب
ضربا يبلغ به حد الموت قال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي
انتحيناه واستوفى الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان
يكون في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته

ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت
في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع
واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي
الكلام فيه او مقتدا يفيد منه عن كتابه او فيه لاكتفي
بما ادويه عنه عما ادويه والى الله جزيل الضراعة في المنة
بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره
وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف
مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله
واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصايصه ووسائله ويحمي
اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه عليه السلام
ويجعلنا ممن لا يذاد اذا زيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا
ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة
نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه
وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا
في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده
تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك
حقايق ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء
لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع ونفس لا تشبع فهو الجواد
الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة

القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل
م م الحمد لله الكريم الوهاب ○ الذي وفق لاتمام هذا الكتاب
○ المسمى بالشفا ○ في تعريف حقوق المصطفى ○ صلى الله
تعالى عليه ○ وعلى اله وصحبه ○ صلوة دائمة بدوام الارض
والسماء ○ وسلم تسليما كثيرا الى يوم الجزاء ○ قد وقع
الفراغ على يد عبد الفقير حافظ القرآن محمد قبل الظهر
في يوم السبت السابع من شهر ربيع الاخر لسنة ثمانية
واربعين ومائة والف فمن راى غلطه عفر الله له
ولوالديه واحسن اليهما واليه ○ وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وآله وصحبه ○ وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله
رب العالمين

ع

٢٢٢